د. محمد جاد الزغبي

حصان على رقعة الشطرنج

(مقالات منوعة)

الأدهم
للنشر والتوزيع
2021

حصان على رقعة الشطرنج

مقالات منوعة

د. محمد جاد الزغبي

الطبعة الأولى: 2021

رقم الإيداع: 2021/11126

الترقيم الدولي: 978-977-748-456-5

دار الأدهم للنشر والتوزيع

15 شارع عبد القهار من شارع الأصبغ - حدائق الزيتون - القاهرة - مصر

ت:.1023186228 - 01227341893

e mail: fares_khedr@yahoo.com

دار الأدهم للنشر والتوزيع

المدير العام: **فـارس خضـر**

المخرج المنفذ: **حسـام عنتر**

الإهداء

إلى أبي الحبيب .. رحمه الله
أهدى إليه هذا الكتاب الذى يعتبر قسما جديدا من فكره وترجمة نصية لثقافته التى أنشأت أجيالا بمجلساته المسموعة دون أن يتم جمعها فى كتاب، وقد جمعت تراثه الفكرى فى هذا الكتاب والكتاب السابق (الفريضة السادسة)

إلى شقيقي المهندس أحمد جاد الزغبي ..
وإلى الأخوين أحمد الطوخى ومحمد الطوخى ..
وإلى الصديق العزيز والزميل / أحمد أبو العينين ..
عرفانا وتقديرا لهم جميعا بوجودهم فى حياتى

وإلى الصديقة العزيزة / نجلاء نور الدين بكر ..
والذى كانت بعض مقالات هذا الكتاب من نتاج مناقشات موسعة ومفاهيم مشتركة بيننا ..

المقدمة

يقول أهل المنطق

(إن محاولة إثبات الشئ الغير منطقي ـ بالمنطق ـ هى محاولة غير منطقية فى حد ذاتها !)

ومعنى العبارة ببساطة ..

أنه من العبث أن تتحدث مع مجنون باستخدام العقل، فهذه محاولة غير عقلانية لأن المجنون بطبيعته لا يمتلك المنهج العقلي حتى يتفهم كلامك ..

وهى تشبه محاولة إقناع الملحد بوجود الله عن طريق استخدام النصوص التشريعية، فهى محاولة عبثية لأنه لا يؤمن أساسا بوجود الله حتى يمكن أن يقتنع بصدق وجود النصوص المقدسة من القرآن والسُنة وأنها منزلة من السماء

لهذا أمرنا الله عز وجل بمحاورة هؤلاء بالإستنباط العقلي أولا قبل أن نلزمهم بصدق النصوص

وجريا على منطقية العبارة السابقة ..

فإن هذه المجموعة من المقالات فى هذا الكتاب، والكتاب

الذى صدر قبله بعنوان (الفريضة السادسة)[1]، هى مجموعة مقالات تحاول التغريد خارج السرب بأفكار غير تقليدية ..

رغم أن كل هذه الأفكار ـ فى الأساس ـ هى أفكار تقليدية أصلا !

بل وبالغة القدم لأنها أفكار معبرة عن الفكر الإسلامى السُنّى المستقل الذى أرساه جيل الرسالة من الصحابة ومن تلاهم من التابعين والعلماء على مر العصور ..

ورغم أنها شديدة القدم والرسوخ فإنها تستحق ـ فى عصرنا الحالى ـ أن نصفها بالأفكار الغير تقليدية وبأنها تغريد خارج السرب وذلك بعد أن قاربت تلك الأفكار على الإنقراض والإندثار حتى أنك قلما تجد أحدا فى المجتمع يمارسها ..

وحتى إن مارسها فنادرا ما تجد من يدافع عنها أو يغامر بإعلانها حتى لا يتعرض لهجوم وسخرية كافة الأطراف فى عصرنا الميمون الذى صار فيه الجنون الفعلى هو القاعدة، والعقل هو الإستثناء الذى يحتاج من العقلاء إثبات عقلانيته !!

وهذه هى الترجمة الواقعية لمعنى (زمن الغربة) الذى حدثنا عنه النبي عليه الصلاة والسلام حيث يكون اختلاط المفاهيم والجنون المطبق هو القاعدة المستقرة بينما التعقل والمنطق هو الإستثناء الذى لا يجرؤ أحد على الدفاع عنه

---

(١) صدر كتاب الفريضة السادسة عن دار (نوستاليجيا) للطبع والنشر عام ٢٠٢٠

كن حصانا ـ لا وزيرا ـ على رقعة الشطرنج

من يجيد لعبة الشطرنج ـ وهى اللعبة الإستراتيجية الأولى فى العالم ـ لابد أن يدرك أنها لعبة إذا اقترنت بقراءة التاريخ فهى مهارة تستطيع أن تفيدك من أول مجال الحروب العسكرية إلى حل مشكلاتك الشخصية !، ومن يمارسها للعب وفقط دون أن يدرك تطبيقاتها هو بالضبط كمن يمتلك جهاز أيفون حديث ولا يجيد استخدامه إلا فى ضغط زر الإتصال !!

وقد قرنتها بقراءة التاريخ تحديدا لأنها تفتح معك آفاقا فى طريقة نظرك لمفهوم (القوة)، والدرس الهام من رقعة الشطرنج هو الذى يتمثل في دراسة أهمية كل قطعة، فكل لاعب شطرنج يدرك تماما أن (الوزير) هو أقوى قطعة فى الرقعة فهى قطعة تمتلك حرية الحركة فى سائر الإتجاهات أى أنها تمتلك كافة مميزات باقي القطع، عدا قطعة واحدة فقط وهى طريقة حركة (الحصان)، فالحصان يمتلك ميزة القفز فوق القطع بحيث لا يعيقه زحام القطع أمامه أو خلفه ليقوم باحتلال مكان نزوله مباشرة ..

ورغم أن الوزير يعتبر على رقعة الشطرنج بمثابة القوة العظمى المنفردة فى هذا العالم، إلا أن به نقطة ضعف قاتلة تميز أيضا القوى العظمى فى عالمنا، على نحو يجعلك تفكر مرة أخرى إذا

امتلكت الخيار على أن تكون وزيرا في عالمك، ونقطة الضعف هذى تتمثل في أن القوة المطلقة التى يمتكلها الوزير هى بذاتها التى تحمل نقطة ضعفه، فنظرا لأهميته وقوته لا يمكن للاعب أن يضحى به وعليه تجد الوزير مضطرا للتراجع إذا قام بتهديده قطعة (عسكري) لا تساوى شيئا فى معيار القوة

وكتطبيق عملى فى عالمنا فالدولة العظمى فى العالم تمتلك نقطة ضعف الوزير نظرا لأن قوتها الرهيبة تعنى امتلاكها لرقعة واسعة من الأهداف الإستراتيجية التى تساوى عندها الكثير جدا، بينما الدول الأضعف غالبا لا يوجد لديها ما تخسره فى معارك المصير ولذلك يمكنها أن توجع القوة العظمى بآلاف الطرق بينما تعجز هذه الأخيرة عن تكبيد خصمها نفس الخسارة لأنه لا يمتلك أهدافا مؤثرة مماثلة

وقد رأينا أمريكا تنهار اقتصاديا فى حرب فيتنام وتتكلف مليارات الدولارات فضلا على خسارة ٥٨ ألف جندى وهذا فى مواجهة حرب عصابات قام بها الفيتناميون بأسلحة تقل بألف ضعف عن قوة الأسلحة الأمريكية فكان الأمريكان يهاجمون الجبال بصواريخ كروز بتكلفتها الرهيبة دون أن يصيبوا سوى أحجار الجبل بينما الفيتناميون يسحقون كتائب مدرعة كاملة بالأسلحة الخفيفة والهجوم الخاطف

ففيتنام هنا كانت بمثابة قطعة (الحصان) الذى يمتلك قدرة القفز على القطع لبلوغ هدفه ولذلك تمكنوا من إذلال الوزير الأمريكى

وعلى مستوى الحياة الشخصية ..

فالحكمة تقتضي ألا تبالغ في طلب قوة النفوذ والمال لأن توافرهما بمستوى عال معناه أنك تعدد من نقاط ضعفك، فالنفوذ السياسي للمناصب العليا يهتز بمجرد إشاعة تصيب المسئول يقف وراءها شاب حدث السن فيقوم هذا الشاب بدور عسكري الشطرنج الذى هدد الوزير وأرغمه على التراجع، والنفوذ المالى الهائل يجعلك عرضة لخسارة قاصمة إن دخلت فى خصومة مع خصم لا يمتلك شيئا توجعه به، فالقوة الحقيقية لا تعنى النفوذ الهائل والقوة البالغة، بل القوة الحقيقية هى قدرتك على تخفيض عدد نقاط ضعفك مع امتلاك قوة مناسبة لإصابة خصمك

بداية العلم .. قمة الحركة، ونهاية العلم .. بداية السكون

أكثر ما تلقيته فى الرسائل خلال شهر فبراير ٢٠٢٠ هو السؤال التقليدى عن سبب غياب التعليق أو التصريح بشئ وسط دوامات الأحداث الجدلية العاصفة المعاصرة لهذا الشهر ..

ورغم أنى كتبت فى أهمية السكوت فى تلك اللحظات عدة مرات إلا أنى لا أمل تكراره، فلحظات السكون والكمون تلك مجرد تطبيق مباشر لدروس عظيمة تلقيناها من السنة النبوية المشرفة ممزوجة بشرح أساطير الفكر عبر التاريخ ..

فأنا تلميذ مشاغب جدا لأساتذتى رغم أنى أنفذ أوامرهم القطعية ـ وهى قليلة ـ وهذه ميزة أدعو الله أن تستمر، فرغم شغبي وجدالى إلا أننى عندما أواجه تنبيها صارما وعصبية عنيفة من الكبار الذين تعلمت منهم بشأن ما، أبادر على الفور بالتطبيق لأنهم الأكثر خبرة قطعا

وبعد رحيل معظم هؤلاء الكبار لا زلت أكتشف كم كانوا عباقرة يطبقون الدروس العريقة للسنة النبوية ويقدموها لنا مشروحة بطريقة معاصرة ..

وأهم هذه الدروس هى معرفة طبيعة العصر الذى نعيش فيه، وجيلي كان محظوظا جدا أنه عاصر آخر زمن العمالقة

وتعلم منهم، وكلهم أجمعوا أننا سنواجه فى عصرنا عته مغولى وجنون مطبق لا يفيد معه إلا الصمت والسكون، لأن زمن الفتنة الحقيقي هو الزمن الذى ينتشر فيه الجهل العارم والجدل العقيم والتفاهة المطلقة ويموت غالية الرموز المحترمة فى كافة المجالات وتنفجر الساحة بألاعيب القرود

وقد وجه لنا النبي عليه السلام توجيها صارما أننا إن صادفنا هذه الظاهرة فعلينا بالصمت والبعد التام عن الجدليات الفارغة والإنشغال بإصلاح النفس وألا نتحرك إلا إذا كانت هناك ضرورة

لأن الدخول فى هذا المعترك بغرض نصرة الحق معناه التورط فى فتن مظلمة ودون فائدة حقيقية لأن من يريد أن يسمع قلة قليلة جدا بينما الغالية يتطاحنون لإثبات غايتهم الدنيوية بغض النظر عن الحقيقة أو الباطل

ومسألة إجبار وتطويع النفس على عدم المشاركة في تلك المعارك ليست أمرا سهلا بالذات لمن يمتلك القدرة على الدفاع عن الحق،

ولكن إن كان المدافع عن الحق طالب علم متفوقا حقا سيدرك تلك المعادلة الخطيرة التى تحكم درجات العلم ..

فبداية أى علم عند أى طالب تكون عاصفة بالحركة والجدل والرغبة فى الظهور والنقاش وهذه سمة المبتدئين بالذات إن كانت بهم موهبة، حيث يطمحون جدا لإبراز تفوقهم حتى على كبارهم وعندما يستوى الواحد منهم وتعظم خبرته يصبح أقل حركة وأكثر تركيزا حتى يصل لدرجة الكمون التام وسط العواصف وهى قمة العلم والإدراك

والأمر يشبه ما فعله علماء الفضاء بعد التطور التكنولوجى فى الستينات عندما صعدوا للقمر بأول رحلة فضائية، فكانت النتيجة هى الغرور بهذه البدايات وانتشار الإلحاد بعد إيمان الإنسان بقدراته التى كان يراها أسطورية بعد نجاحه فى اختراق الفضاء!

أما عندما مضت السنوات وتقدمت التكنولوجيا أكثر وأكثر، عاد الإيمان من جديد وتراجعت سطوة الإلحاد بعد أن اكتشف الإنسان أن القمر والمجموعة الشمسية مجرد شارع جانبي يقع على بعد أمتار فى مدينة يبلغ اتساعها مليارات الكيلومترات !

كورونا رسالة .. نتمنى ألا تُـرد إلى الراسل

فى أحد العمليات العسكرية تم اكتشاف سيارة مفخخة قبل انفجارها وبالطبع تم جلب خبير المتفجرات لمعالجة الموقف ووقفت الآليات العسكرية على مبعدة تراقب الموقف، وجاء الخبير وهو يرتدى الزي المصفح بالغ الثقل ليفتح حقيبة السيارة ويخرج أدواته ..

وفوجئ فريق المراقبة بالخبير يتراجع قليلا ثم يبدأ فى خلع الرداء الواقي تماما ويبدأ العمل في تفكيك القنبلة !!

هنا هرع إليه المراقبون ليسألوه عن موقفه الجنونى ولماذا خلع رداءه الواقي وهو يعمل على تفكيك القنبلة، فنظر إليهم ببساطة قائلا :

(كمية المتفجرات فى السيارة كافية لمحو المنطقة بأكملها لو انفجرت، لهذا فلو فشلت فى تفكيكها فلن ينفعنى الرداء الواقي فهو أشبه بورقة بلاستيك بالنسبة لقوة القنبلة، ولهذا فضلت التحرر من الرداء الثقيل لأصبح أخف حركة وأضاعف فرصة النجاح فلو نجحت لن أحتاجه، ولو فشلت فلن ينفعنى)

وهذه المقولة ترجمة صحيحة تماما فى مواجهة ما لا قبل لنا به، فما تواجهه الأرض الآن من حرب كورونا أقوى من كل تحصين، والأخذ بالأسباب وحده لن يكفي،

لذلك ففيروس كرورنا يحمل رسالة حقيقية نتمنى حقا أن ينتبه لها الجميع لأن الأرض بأكملها لن تحتمل عواقب رفض الرسالة وردها على الراسل .. هذه الرسالة فى عدة نقاط ..

* البلاء العام هذه المرة يعم الأرض بشكل كامل وكاسح وأنا لا أعلم واقعة فى التاريخ عمت كل ثقب إبرة على وجه الأرض مثل كورونا إلا طوفان نوح عليه السلام، فإذا عدنا لعقوبة الطوفان التى عمت الأرض سنكتشف أنها كانت عقابا فريدا وشاملا لأن الأرض وقتها عمها الشرك والنكران تماما اللهم إلا بقية قوم نوح الذين ركبوا معه، وهذه دلالة لا تغيب عن عاقل إن تأملنا ما يحدث بالعالم منذ عام ٢٠١١ وحتى اليوم بعد أن تحققت مقولة مصطفي محمود فى أن العصر عصر الجنون فعلا وأصبحت حياة ملايين البشر مجرد ورقة رهان أو ورقة ربح لمد خط أنابيب بترول، وأصبح تشريد وقتل الملايين على الهوية فى كافة أصقاع الأرض مجرد خيار سياسي لقادة العالم لا يمثل إلا خبرا من عدة سطور فى وكالات الأنباء !

* هذه الكارثة تزامنت مع عدة مشاهد كان أشدها على الإطلاق فراغ البيت الحرام من الطائفين حتى لو لوقت محدود، فأعمى القلب والبصيرة فقط هو الذى يغفل عن دلالة هذا، ورغم أن الطواف والصلاة بالحرم تم منعها عبر التاريخ لكوارث حروب وما شاكلها إلا أن خلو الحرم وقتئذ ومنع الحج فى هجمات القرامطة والصليبيين كانت دلالته مختلفة تماما لأن المسلمين كانوا وقتها يجاهدون قدر طاقتهم ومنعهم عن الحرم حدث للدفاع عنه، أما اليوم فمنع الحرم بسبب كورونا لا يذكرنى

إلا بالطير الأبابيل التى منعت جيش إبرهة عن بيته والفارق أننا نحن المسلمون اليوم أصبحنا مكان إبرهة وجيشه فطردنا رب العالمين منه كأقل جزاء مستحق لعصر الجنون الذى نعيشه بعد أن جاء لبيته الحرام المتردية والنطيحة والموقوذة وما أكل السبع !

* النقطة الثانية تتمثل فى حكمة الله من البلاء أصلا، وهى حكمة بسيطة جدا فالله يقرر البلاء على الناس ليتضرعوا إليه وينزعون إلي اللجوء إليه والإعتراف بجريمتهم مصداقا لقوله تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ)

فلنا أن نتخيل مدى كفر الإنسان وجبروته إذا تم إهمال هذه الرسالة واستمر حثالة البشر بيننا من دعاة الظلم والعلمانية والإلحاد فى غيهم وجبروتهم بينما رب العزة لم يطلب منا ومنهم إلا أمرا واحد، الإقرار والخضوع والندم !

ولنا أن نتخيل العواقب إذا زاد الإصرار والغى والمهازل التى حدثت طيلة السنوات السابقة من العبث بكل معتقدات المسلمين وثوابتهم، فعندئذ سنكون كمن رد الرسالة على صاحبها عز وجل، والله أعلم حينها بالعاقبة

الهجوم الإعلامى على شيخ الإسلام

شيخ الإسلام ابن تيمية منذ وفاته قبل سبعة قرون هو من أكثر الشخصيات التاريخية التى تم تناولها بالهجوم العنيف لأنه كان من نوعية الشخصيات التى عاداها كافة الفرق والجماعات التى استهدفت الإسلام كدين وحضارة سواء من المبتدعة وفرقهم كالخوارج والمعتزلة والشيعة أو خارج المسلمين كالصليبيين والمغول وغيرهم ..

فقد كان رحمه الله ورضي عنه من عتاولة العلماء الذين ظهروا فى ظرف دقيق جدا من تاريخ الإسلام حيث تناوبت على بلاد المسلمين المحن والحروب من الخارج والداخل وانتشر إرهاب الخوارج والشيعة وهجمات الجيوش الغازية فى فترات ضعف واضمحلال كالتى نحن فيها فقام ابن تيمية بدور محورى هائل سواء فى حفظ السنة المطهرة كأحد أكابر علماء عصره أو كمجاهد ومقاتل فعلى فى جيوش الإسلام بل إنه كان يقود السرايا والكتائب ويحرض الناس على القتال ضد المغول ويبين لهم أن المغول في عهود الطواغيت الذين حكموهم لا يوجد حرج في قتالهم لمجرد أنهم أسلموا ..

فالمغول بعد سقوط هولاكو ودخول بعضهم في الإسلام أسسوا لأنفسهم دولة فى العراق حكمها بعد ذلك تيمور لنك أحد

جبابرتهم واعتادوا الهجوم على بلاد الشام وقتال المسلمين ..

فخرج ابن تيمية فى تلك الظروف يحرض الناس على دفع اعتدائهم لا سيما وأنهم يمتازون بالوحشية كعادتهم، لهذا فالعلمانيين المعاصرين يستغلون الفتاوى الحربية التى ظهرت فى ذلك الظرف الدقيق من ابن تيمية ويضعونها فى غير موضعها ويشنعون بها على شيخ الإسلام باعتباره شيخا لجماعات الإرهاب ! مع أن التاريخ يقول بأن تيمية وجه فتاويه تلك لجماعات الإرهاب أصلا دفاعا عن دولة المسلمين !!

وأنا في مسألة الرد عن سمعة شيخ الإسلام أحاول تحاشي مناقشة الأقوال الفقهية لأن المغترين بتشنيعات العلمانية والإعلام لا يفهمون أساسا مصطلحات علوم الفقه وشرح ذلك يطول، فالرد العلمى ليس هنا موضعه بل الردود العقلية هى الأهم، والردود العقلية لا نستهدف بها الرد على الإعلام أو العلمانيين بقدر ما نستهدف الجمهور الذي يظن كلامهم حقا، لأن حسن النية متوفر في الجمهور قطعا ..

والرد بهذا الأسلوب يشمل عد نقاط ..

الأولى : نحن فى ظرف دقيق جدا يواجه فيه الجيش والشعب ومؤسسة الأزهر جحافل التكفيريين بأفكارهم وأفعالهم الشنيعة التى وصلت شناعتها لدرجة أنهم يقتلون الجنود المرابطين وهو في صيام رمضان، ويقتلون المصلين ويفجرون المساجد فى وقت الجمعة، وهذا يعنى بطبيعة الحال لكل عاقل أنهم يستهدفون الدولة ويستهدفون الدين الإسلامى نفسه وممثليه من الأزهر، وقد رأيت تسجيلات لبعض قيادات الإخوان يقولون

فيها على قنواتهم صراحة أن هدم الجيش وهدم الأزهر هو هدف استراتيجي لهم،

فإذا كان الحال كذلك

فكيف يمكن أن يتخيل عاقل أن منهج الأزهر المبنى على علوم الشريعة التى نقلها علماؤنا الكبار أمثال ابن تيمية،

كيف يمكن أن نتخيل أن هذه العلوم هى فى صف الإرهاب وجماعات التكفير ؟!!

كيف يمكن لعاقل أن يقول بأن إرهابيا جاء لاستهداف مسجد واستهداف جنود يصومون لله في أعظم شهر، كيف يمكن القول بأن هذا الإرهابي يتغذى على دروس المساجد نفسها أو يؤمن بنفس الدين ؟!!

الثانية : علوم ابن تيمية رضي الله عنه وشخصيته موجودة فى علوم الأزهر منذ تأسيسه وتربي عليها شيوخ الأزهر منذ ٧٠٠ عام، وكان الخطباء فى حرب أكتوبر ـ مفخرة مصر والعرب ـ يخطبون للجنود المقاتلين ويحمسونهم بفتاوى ابن تيمية نفسه رحمه الله ويحرضونهم على ردع العدوان والجهاد بأقوال ابن تيمية رحمه الله

والسؤال الآن ..

هل انتصرنا فى حرب أكتوبر بهذه العقيدة وهذه العلوم أم لا ؟ وهل شهد الفريق الشاذلى رئيس أركان أكتوبر بنفسه بأن عقيدة الجيش المصري مبنية على مبدأ الإسلام (النصر أو الشهادة) أم لا ؟ وهل يمكن للإعلام أن يخبرنا إذا كانوا فعلا

يريدون تخليد بطولات الشهداء، كيف يمكن أن يخلدوا ذكرى الشهداء وهم يطعنون فى الأزهر وعلومه التى منها أصلا ورد حكم الشهادة لهؤلاء المقاتلين ؟!!

وبالتالى فيتضح لكل عاقل أن الإعلام إنما يستغل حرب الإرهاب لتصفية الحساب مع رموز الدين وعلمائه ومع الأزهر وشيخه رغم أن عقيدة الأزهر والجيش والشعب بأكمله إنما هى على السنة الصحيحة التى يعتبر ابن تيمية أحد رموزها

الثالثة : جلب أحدهم فتوى لابن تيمية رحمه الله يقول فيها (كذلك في باب الجهاد وان كان قتل من لم يقاتل من النساء والصبيان وغيرهم حراما، فمتى احتيج الى قتال قد يعمهم مثل: الرمي بالمنجنيق والتبييت بالليل جاز ذلك – واخد بالك؟ – كما جاءت فيها السنة في حصار الطائف ورميهم بالمنجنيق، وفي أهل الدار من المشركين يبيتون وهو دفع لفساد الفتنة أيضاً بقتل من لا يجوز قصد قتله.

وكذلك «مسألة التترس» التي ذكرها الفقهاء، فإن الجهاد هو دفع فتنة الكُفر، فيحصل فيها من المضرة ما دونها، ولهذا اتفق الفقهاء على أنه متى لم يكن دفع الضرر عن المسلمين الا بما يُفضي الى قتل أولئك المُتترس بهم جاز ذلك)

وطبعا لنا أن نتخيل هذا العته الذى يتصف به المهاجم لابن تيمية عندما يعتبر كلام ابن تيمية هذا هو تحريض منه للإرهابيين ضد الجيش المصري !!

فهل بلغ هذا الكاتب أن ابن تيمية كان أحد زعماء داعش مثلا!، أو أنه من قيادات الإخوان !!

ابن تيمية عالم سنى رحل منذ سبعمائة عام وفتاواه عامة .. نكرر فتاواه عامة تنطبق فقط على جانب الحق ضد جانب الباطل لهذا فكلام ابن تيمية فتوى لجنودنا وأبطالنا ألا يستشعروا الحرج إن هم وجدوا في ضرب الإرهابيين ما يصيب المسالمين واستحال عليهم التمييز، فكيف أخذها الكاتب ليجعلها في صف الإرهابيين ضد الجيش المصري !!

وهل إذا اتخذها الإرهابيون دليلا لأنفسهم ضدنا، فيكون الرد منا أن نقرهم على ذلك ؟!

لو أننا فعلنا هذا مع ابن تيمية فافعلوها مع القرآن وآياته الكريمة إذا ؟! هل نقوم بالتنازل عن القرآن الكريم الذي دعانا للجهاد ضد الأعداء لمجرد أن الإرهاب اتخذ هذه الآيات دليلا له ولأتباعه على جرائمهم ؟!

ثم من باب أولى ..

ألسنا نسمى ضحايانا بالشهداء ونؤمن أنهم كذلك إن شاء الله، إذا لماذا تتخذ لقب الشهداء مع أن الإرهابيين يسمون قتلاهم بالشهداء أيضا ؟!!

نهاية القول ..

إن الإعلام والعلمانيين يشبهون تماما من يرفض علوم الفلك والفضاء بكل ثرائها وقيمتها لمجرد أن هناك دجالون ينتحون صفة عالم فلك ويقرءون الطالع للناس ؟!!

فتخيل الجنون

مجرد سطور (٩)

قال : عندى بعض الإستفسارات الخاصة بي أستاذ ؟

أجابه .. تفضل

قال : كلنا نعلم أن ارتكاب الكبائر والمعاصي فى أوقات محددة له عقاب أشد بكثير من الأوقات العادية مثل ارتكابها وقت رمضان أو أيام عيد الأضحي ونحوها، فهل هناك أوقات غيرها

أجابه : نعم طبعا .. هناك وقت بعينه يكون ارتكاب الكبائر فيه أبشع بكثير من كل هذا، وهو وقت (البلاء العام) كالذى نعيشه اليوم، لأن وقت البلاء هو وقت التضرع إلى الله فإذا إستهان الإنسان بوقت البلاء وأصر على الفواحش كان الجزاء مضاعفا

قال فى اهتمام : إذا أريد مساعدتك لى بالنصح للإقلاع عن إحدى الكبائر وهى الذنب الوحيد الذى اقترفه مع أنى مستقيم فى كافة الأمور من أول الإيمان والفرائض إلى تأييد حكامنا حفظهم الله

ابتسم الكاتب فى سخرية وقال مستفسرا : تريد التوبة من كبيرة واحدة وتقول أنك تفعل الخيرات كلها ومن ضمنها تأييد الحكام ؟! .. أى حكام تقصد ..

قال الشاب فى حماسة : كافة حكامنا فى الوطن العربي ضد أطماع الغرب

احتفظ الكاتب بهدوء أعصابه وقال : أخبرنى .. ما هى الكبيرة التى أدمنتها وتريد التوبة فيها ..

قال الشاب في خجل : هى كبيرة من أكبر الكبائر والإنسان ضعيف أمام النساء كما تعلم

ربت الكاتب على كتفه مشجعا وقال له : لا تقلق منها واستمر فيها

قال الشاب في ذهول : كيف يا أستاذ ؟

رد الكاتب : سأرد عليك بمقولة تراثية لعلك تفهم (ما دمت من مؤيدى الحكام فلن يضرك الزنا .. اطمئن)

ثم تركه الكاتب وانصرف

عن مفارقات (الشهرة) للعلماء والمفكرين

مسألة تناسب شهرة العالم أو المفكر مع قيمته الفعلية فى العلم تحظى بعدد كبير من التناقضات ونستطيع القول بأن الشهرة العامة (الشهرة بين سائر الناس) تحظى بتناقضات كبري تجعلها مختلفة عن الشهرة النخبوية (الشهرة بين أهل التخصص)

فهناك العديد من كبار العلماء والمفكرين فى كافة التخصصات أخذوا حقهم الوافي من الشهرة والسمعة العلمية عند النخب وعند العوام على حد سواء ويكون هذا راجعا بالأساس إلى أهمية مجال تخصصهم لحياة الناس فضلا على وجود تلاميذ وأصحاب لهؤلاء العلماء تمكنوا من نشر علمه وشرحه والإضافة إليه مما جعل أستاذهم فى بؤرة الضوء عبر التاريخ ..

مثل علماء المذاهب الخمسة الفقهية فى الإسلام حيث ظهر للعلماء الخمسة أبو حنيفة والشافعي ومالك وأحمد وابن حزم من قاموا بنشر علمهم وحفظه فاستمرت مذاهبهم عبر العصور، وتم تدوينها ..

لكننا نجد علماء جهابذة يساوون المشاهير وأحيانا يتفوقون عليهم فى العطاء العلمى لكن تراثهم العلمى أصبح مفقودا

لعدم وجود من حفظه ودونه، ومثالهم فى تاريخ الإسلام كثير مثل الإمام العلم الليث بن سعد العالم المصري الذى قال عنه الشافعي أنه أفقه من الإمام مالك نفسه ..

ونجد أيضا فى التاريخ أسماء علمية حازت شهرة كبيرة أكبر كثيرا من قيمتها الحقيقية رغم أنهم يستندون فى علمهم هذا إلى علماء أعلى منهم بمراحل ولكن غير معروفين للعوام بل معروفين لعلماء المجال وحده

ولتوضيح العلاقة بين الشهرة والعلم سنضرب لها مثالا من ظواهر الفلك ..

فالصورة الأولى سنجد أمامنا فى المجال العلمى بالنسبة للشهرة علماء جهابذة حازوا الشهرة المستحقة لهم على مستوى العوام والخواص .. وهؤلاء كالشمس ذات ضوء ساطع وغالب لا يناهزه غيره ويصل لكافة الناس

والصورة الثانية سنجد علماء جهابذة لكنهم غير معروفين للعوام بل للخواص وحدهم وهؤلاء كالنجوم البعيدة جدا لا يراها الناس ولا يعرفونها بينما يعرفها علماء الفلك بالتلسكوبات الفضائية ويدركون حجمها وقوتها الغائبة عن الناس

والصورة الثالثة سنجد تلاميذ يحوزون شهرة كبيرة لا تتناسب مع علمهم القليل رغم أن هذا القليل أصلا مأخوذ من علماء عمالقة غير معروفين للناس ..

ومثال هؤلاء كالقمر يستند فى نوره الساطع لغيره ويلمع للناس جميعا ولمعانه هذا لا يتناسب مع حجمه الضئيل ولا قدراته لكن نوره يحجب نور النجوم الساطعة من خلفه لكونها

بعيدة جدا عن مجال رؤية الناس على الأرض، ولا يعرف الناس هذه النجوم المختفية خلف ضوء القمر الكاذب إلا إذا اختفي القمر وعندئذ تظهر النجوم البعيدة مرشدا وهاديا لمن ضل الطريق

نخلص من هذا إلى حقيقة مهمة جدا لحياتنا، وهى أن معيار الشهرة غير صالح لقياس حجم العلم مطلقا، إلا إذا كانت تلك الشهرة، شهرة نخبوية بين أهل العلم ذاتهم، عندئذ تكون شهرة حقيقية، أما شهرة العوام فغالبا ما تكون لأسباب أخرى ليس من بينها القيمة العلمية

الحياة من خلال منظار (محمود السعدنى)

بالنسبة لمن يعانى ويصيبه الذهول من التردى الكاسح الذى نعيشه فى كافة المجالات،

فعليه أن يتأمل قاعدة من أهم القواعد الثقافية التى أثبتت صحتها ..

هذه القاعدة تقول ..

(أن قارئ التاريخ .. لا يمكن أن تصيبه الدهشة أبدا، أما دارس التاريخ لا يمكن أن يصيبه اليأس أبدا)

فالتاريخ ـ بدون أدنى مبالغة ـ أهم العلوم البشرية التى تصنع الحضارات، وفوائد قراءته ودراسته لا تحصي لعل أبسطها وأعظمها أثرا

قارئ الهاوى للتاريخ لا تصيبه الدهشة لأى وضع مزرى معاصر يراه أو يعايشه لأنه حتما قد رأى شبيها له أو أردأ منه أيضا ..

أما القارئ المتمرس والدارس للتاريخ فيتميز أكثر حيث لا يمكن أن يصيبه اليأس أبدا مهما تردت الأوضاع من حوله، لأنه بدراسته للتاريخ سيمتلك قوة نفسية مضادة لليأس من المجتمع وأوضاعه لأن فترات الإنهيار للأمم العظيمة احتوت هذه الظواهر كثيرا قبل عودة نهضتها من جديد ..

ورسالتى لمن يري ما نحن فيه الآن من مهازل تنذر بقرب يوم القيامة، نصيحتى أن يطالعوا فترات التاريخ المصري بالتحديد، ومن ليس لديه القدرة على قراءة المراجع ثقيلة المعرفة وصقيلة العلم .. ثقيلة الأثر، فهناك مراجع متميزة أرخت لمصر فى تاريخها المعاصر بأسلوب بالغ الإمتاع حقيقة ..

ونعنى بها الكتابات الشعبية والساخرة

فمن الكتابات الشعبية القديمة هناك قصة على الزيبق وملاعيب شيحة التى تعرض بتطابق مذهل مدى ما عاناه الشعب من تكتل الحكام والتجار

ومن التاريخ المعاصر هناك مذكرات الساخر العظيم عمنا الكبير محمود السعدنى رحمه الله، الذى كتب فى سلسلة مذكرات (الولد الشقي) صورة بانورامية كاملة لأحوال الشعب والإعلام والصحافة والسياسة خلال الفترة من العشرينيات حتى نهاية عصر السادات، ومن يطالعها سيجد أيضا تطابقا مريرا وساخرا بين ما نعانيه اليوم من إنحدار وبين ما مر على أيامه ..

ففي عهد الملكية لم يمتلك الأموال والشهرة إلا سقط المتاع من الناس، وكانت الراقصة أعلى دخلا من ألف كاتب ومفكر،

وكانت الوساطات والمصالح تحكم عالم الإعلام والصحافة بينما يموت المفكرون وأصحاب الأقلام جوعا، وكانت السياسة عبارة عن مصالح بين أصحاب الأموال والقصر والشعب خارج هذه المعادلة تماما

وكانت المتاجرة تعم كل شيئ بالشعارات فهناك من تاجر بالدين وهناك من تاجر بالوطنية إلخ ..

ورغم كل هذا ..

إلا أن القيمة الحقيقية كانت تثبت نفسها رغم المصاعب بدليل أن ما بقي لنا من تاريخ هذه الفترات هو الأسماء اللامعة لأهل الفكر والعلم حقا واندثر غيرهم من أصحاب التفاهات رغم سطوتهم على ذلك الزمان

فلا داعى لهذا اليأس والغضب البالغ مما نراه من أوضاع لأنها مجرد حلقة فى سلسلة طويلة ممتدة فى مصر منذ عهد الفراعنة وليهتم كل صاحب موهبة بموهبته وينميها ويحاول أن تكون له لبنة فى بناء الفكر السليم حتى لو لم يجد مستمعا له الآن

العقول ذات الإتجاه الواحد

فى قوانين المرور تعتبر الشوارع الأكثر أمنا هي الشوارع ذات الإتجاهين وذات الفواصل بين الآتى والغادى، بينما يعتبر خطر الشارع صاحب الإتجاه الواحد أكبر حتى لو كان هذا الشارع أكثر اتساعا من شارع آخر ذى اتجاهين..

وهذا أمر طبيعى،

فمهما كان الشارع صاحب الإتجاه الواحد واسعا ومرصوفا تظل احتمالات الخطورة فيه أكثر ارتفاعا لأن السيارات تتقابل فيه بلا فواصل وبالتالى تقع الحوادث ويقع الإزدحام والإختناق المروى، بينما الشارع ذى الإتجاهين فيه فاصل واضح بين كل اتجاه والسيارات تسير فيه آمنة إلى حد كبير وتندر فيه الإختناقات أو الحوادث وإن كانت لا تنعدم بطبيعة الحال

وهكذا هي عقول البشر منذ خلق الله الدنيا..

عقول ذات اتجاه واحد وهى العقول المؤدجلة المبرمجة على اتجاه فكرى محدد وهؤلاء لن تجدهم إلا فى جماعات التطرف الدينى بالتحديد لأنه أشد أنواع التطرف أثرا على العقل البشري ويختلف عن الأيديولوجيات الحزبية أو السياسية لكونها أولا وأخيرا مصالح دنيوية محضة بينما العقل المؤدلج دينيا تحكمه

غاية أخرى وهى الآخرة ولهذا يتعاظم فيه التطرف إن أصابه هذه العقول تسير فى إتجاه واحد والحل الوحيد لكى تمشي معه بسلام هي أن تسير فى مناقشتك معه فى نفس إتجاهه،

فإن خالفت اتجاهه معاكسا كان الصدام المروع وإن انحرفت عن طريقه بميل بسيط اصطدمت بجدار عقله أيضا وبالتالى لن تستطيع أن تنجو معه بغير موافقته التامة فى كافة أقوالك لأنه لن يحفظ لك تاريخك في مناصرته مهما طال ما دمت قد خالفته مرة واحدة أو عبت عليه أو نبهته لخطورة طريقه !

والعقول ذات الإتجاهين هي العقول التى نعرفها فى أهل السنة من قديم الزمن، من الصعب جدا أن تصطدم معه إلا إذا مشيت فى طريق عقله بالعرض وعطلت سير الإتجاهين معا، ففي هذه الحالة وحدها يحدث التصادم معه ورغم هذا لن يمنعه ذلك التصادم أبدا من أن يقر لك بأى حق تقوله طالما أنك نطقت به حتى لو كان حقا فى غير صفه

وعلى عكس ما هو متوقع..

فالعقول ذات الإتجاهين هي مرتع عداوات الجميع !!،

بينما العقول ذات الإتجاه الواحد تنعم على الأقل بتأييد أتباعها ومن يتفقون معها، وهذا بالتحديد ما ميز أهل السنة باعتبارهم الممثلين لحقيقة الإسلام الذى اجتمعت على عداوته كافة الملل ومنسوبي الأديان الأخرى بالرغم من قبوله للجميع فى إطار حكمه وشريعته وإعلائه لقيم المساواة وحرية الإعتقاد،

ورغم هذا عاداه الكل رغم أن هؤلاء المتعادين هم بين أنفسهم يحملون تاريخا طويلا من الصراع فيما بينهم، لكنهم تناسوا

هذه الصراعات فى سبيل الإجتماع على عداء الإسلام والسنة ولهذا المبرر أيضا نستطيع أن نفهم لماذا قال النبي عليه السلام (بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبي للغرباء)

ففي بداية الإسلام ما طالب النبي عليه السلام أحدا باتباعه قسرا وإنما طالبهم بتركه أتباعه وحرية عبادة الله فأبي المشركون إلا محاربته، وفى نهاية الزمان الذى نعيشه الآن لا يوجد صاحب فكر مستقل إلا وينالة من سهام الجميع الكثير رغم أنه ينصف الكل، فيقر الحق متى وجده ويجهر بالباطل متى صادفه

ولهذا أيضا نستطيع أن نفهم لماذا اجتمع الخوارج والشيعة والمعتزلة وفرق الصوفية على عداوة أهل السنة، ولم نجد مثلا حربا واحدة بين الخوارج والشيعة فى التاريخ رغم أن الخوارج يكفرون الإمام على نفسه والذى يزعم الشيعة إتباعه، ووجدناهم يحاربون أهل السنة فى كل عصر رغم أن الإمام علىّ عند أهل السنة هو رابع الخلفاء وإمام الأئمة

* كيف دافع العملاق الصينى (أى بي مان) عن الإيجور

آي بي مان أو (ييب مان) هو أسطورة الكونغ فو الصينى فى بدايات القرن العشرين، ولم تنجب الصين مثله لليوم ويكفي أن بروس لي أبرع لاعب رياضات قتالية فى العالم هو تلميذ من تلاميذ ييب مان، وقد قدمت السينما العالمية عدة أفلام عنه أشهرها سلسلة (ييب مان)

ومن خلال قصة حياته سنكتشف أنه رمز سياسي واجتماعي لأنه كان ينتهج فلسفة التسامح المطلق ويحاول نشرها عبر الرياضات القتالية، وذلك بتكريس حياته للدفاع عن حق الضعيف أمام القوى والوقوف ضد الإفتراء على أى إنسان

وقد اكتسب شهرته الأسطورية بعدة مباريات خالدة كان أولها عندما تحدى أحد جنرالات اليابان فى القتال بعد احتلال اليابان للصين وهزمه، مما رفع الروح المعنوية للصينيين أضعافا ..

ثم رضخت الصين لإحتلال إقتصادى غربي وانتشر احتقار الغرب للجنس الصينى فخاض ييب مان مباراة تحدى مع بطل العالم فى الملاكمة فى وقته وكان بريطانيا مغرورا وهزمه أيضا

سافر بعد ذلك ييب مان لأمريكا فى رحلة علاج قصيرة

وهناك صدمه مدى معاناة الصينيين من احتقار الأمريكيين واضطهادهم وشهد بنفسه مدى الحقد الرهيب ضد تلميذه بروسلي الذى نشر فنون القتال الصينية بين الجنود الأمريكيين وبين طلبة الجامعات فحاز شهرة رهيبة

وأثناء وجود ييب مان فى الحى الصينى جاء أحد أبطال الجيش الأمريكى بصحبة فريقه لتحدى معلمى الكونغ فو وتهوين شأنهم، فتصدى له ييب مان وهزمه

وكانت تلك المباراة سببا فى غليان داخل وحدة المشاة البحرية الأمريكية واغتاظ أحد قوادها فتهجم بمفرده على إجتماع كبار الحى الصينى وحطم المكان وعجزوا عن التصدى له

ومعروف بالطبع أن مشاة المارينز هم صاعقة البحرية الأمريكية وقوادهم من أعتى مقاتلى الرياضات اليدوية ..

ورغم هذا ذهب ييب مان لتحدى الضابط الأمريكى العنصري وبالفعل جرت المباراة داخل الوحدة العسكرية وتمكن ييب مان من هزيمته بعد معاناة

والصين إلى اليوم تفتخر بمعلمها وبمبادئ التسامح والوقوف إلى جانب المضطهدين ويعتبرونها جزء لا يتجزأ من ثقافتهم بعد معاناتهم طويلا للإحتقار،

لا سيما أن الجنس الأصفر والجنس الزنجى هم أكثر الأجناس تعرضا للإضطهاد عبر التاريخ

والسؤال الآن للصين ..

كيف يتفق ما تتغنون به من تاريخ الإضطهاد الذى عانيتم منه من الغرب ومن الشرق أى من أجناس غريبة عنكم، كيف

يتفق هذا مع اضطهادكم الفادح لصينيين منكم يمثلون نسبة لها وزنها، وهم جزء أساسي من عوامل نهضتكم وكل هذا بسبب أنهم اختاروا الإسلام دينا ..

هذه هى كل جريمتهم أمام الصين، أنهم مسلمون ويتركزون فى اقليم تركستان الشرقية الذى كانت الصين تتخوف من انفصاله، ولكن بعد أن أصبحت القوة العظمى الأكبر في آسيا سقط مبرر الإضطهاد، فكيف يسوغون لأنفسهم هذا ؟!

*لماذا حذروا من الكريم إذا أُهين، واللئيم إذا أكرم

تراث الحكمة العربية ـ الذى نجهل معظمه للأسف ـ يتفوق على تراث باقي الحضارة بنسبة عشرة إلى واحد على الأقل !

والفارق بين الحكمة والفلسفة العربية وبين نظريتها الغربية كالفارق بين مدى اتساع اللغة العربية التى يبلغ ١٢ مليون كلمة تقريبا، وبين باقي لغات الأرض

وطبيعة حضارة العرب كما وصفوها أنها حضارة (بيان) لا حضارة (بنيان)، ويظن الكثيرون أن عمق الحضارة العربية يكمن فى جمال تراثها وآدابها من الناحية الفنية لكن عمقها الحقيقي يكمن فى الحكمة وفلسفة دراسة المجتمعات والأخلاق، وهذا العمق هو السبب الرئيسي الذى جعل العرب محط آخر وأعظم الرسالات السماوية ..

ومن أجمل الحكم العربية وأصدقها القول المأثور

(احذر من الكريم إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته) ..

ونبدأ ببيان معانى ألفاظ الحكمة لأن الكرم واللؤم، لأن معناهما مختلف عن المعنى الدارج اليوم، فالكرم هنا ليس المقصود منه البذل والعطاء فقط بل المقصود (كرم الطباع

والأخلاق) فالشخص الكريم هو الشخص صاحب المبادئ المؤمن بها والمطبق لها فى تعاملاته

واللوم ليس معناه شدة المكر والقدرة على الخديعة بل معناه عكس الكرم وهو الشخص الإنتهازى الوصولى منعدم المبادئ والأخلاق

وقد حذر العرب أشد التحذير من معاملة الكريم بالإهانة، ومن معاملة اللئيم بالكرم

لأن العواقب ستكون وخيمة فى الحالتين ..

فاللئيم إذا تمت معاملته بالأخلاق لن ينظر للتعامل بها بمبدأ حفظ الجميل مثلا بل سيجد فى التعامل الكريم فرصة ينبغي انتهازها لأنه يري الكرم نوع من الحماقة والغفلة ولا يتصور أن هناك شخصا يضيع مصلحته لأجل قيمة أو مبدأ، وبالتالى فالتعامل معه بمنطق الكرم معناه الخسارة الفادحة لأنه لا يكتفي فقط بنكران الجميل بل يتعمد إيذاء من أكرمه

بعكس الكريم ..

فالكريم إذا تمت معاملته بالمروءة فإنه يصبح أسيرا لمن أكرمه ومهما رد له صنيعه أو جميله لن يري نفسه قد أوفاه حقه ..

أما إن تم التعامل مع الكريم بالإهانة، فهنا مكمن الخطر

فالضرر الذى سيسببه الكريم لمن أهانه أضعاف ما يمكن أن يلقاه من أى شخص آخر، ويعود هذا إلى صفة أصيلة فى أهل الكرم وهى اعتزازهم الشديد بأنفسهم ..

ورغم إيمانهم التام بالمبادئ إلا أنهم عند التعرض للإهانة ينقلبون تماما على مبادئهم ويتناسون أى محاذير أخلاقية أو دينية فى سبيل الإنتقام للإهانة التى تعرضوا لها

والتاريخ حافل بأولئك الذين انتقموا انتقاما بشعا لأجل إهانة يراها غيرهم بسيطة أو عادية، ومنهم مثلا الحجاج بن يوسف الثقفي الطاغية الشهير وكان قبل انضمامه للأمويين معلما للقرآن ومن أتقي الناس فتعرض للإهانة من جنود بن الزبير رضي الله عنهما فانضم للأمويين وكان منه ما كان ..

وحتى فى العصر الحاضر هناك عمالقة وعباقرة انقلبوا ضد دولهم وعملوا مع إعدائها بمنتهى التفانى لمجرد الإنتقام من النظام الذى أهانهم أو احتقرهم ولعل أشهرهم الألمانى ريتشارد سورج أقوى جواسيس الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ولولاه لربما تغيرت نتيجة الحرب لصالح الألمان، وكان سبب انضمامه للحلفاء أنه تعرض للإحتقار والتنمر فى بلاده وعينوه بوظيفة حقيرة رغم حصوله على الدكتوراة فى تخصصه

* قلب الملحد يؤمن برغم أنفه

جعل الله الإنسان أكثر شئ جدلا، بمعنى أنه يخالف شعوره القلبي ويجادل بلسانه ويكابر دائما رغم وجود الإحساس الداخلى بوجهة الحق،

وعند الملحدين بالتحديد يظهر هذا بوضوح حتى أنه يمكننا القول باطمئنان أنه لا يوجد ملحد قط مؤمن بالإلحاد من أعماقه، ولهذا السبب تحديدا جعل الله تعالى جزاء الملحد النار ولو لم تبلغه رسالات الرسل عليهم السلام، فالذين لم تبلغهم رسالة أى رسول غير مكلفين بأى شريعة ويدخلون فى مصطلح (أهل الفترة) وجزاؤهم الجنة شريطة أن يكون مؤمنا بأن للكون خالق، وهذا أمر طبيعى لأن عقل الإنسان سيؤديه لهذه الحقيقة حتى لو كان هذا الإنسان مولودا وسط الغابات بلا أى اتصال بالعالم الخارجى

ولهذا عندما سُئل النبي عليه السلام عن ابن جدعان، وكان من أشراف قريش وكرامهم وله مآثر، فقال النبي عليه السلام: هو فى النار لأنه لم يقل رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين ..

كذلك نص القرآن على وجود الإيمان التام بالخالق لدى كل بشري فى قوله تعالى ..

(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ من بَنِي آدَمَ من ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ)

والعهد المقصود بالآية هو تكليف الإنسان بالعقل وإعمار الأرض، فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذى تم تكليفه بالإعمار رغم وجود المكلفين بالإيمان وذلك لتميزه بالعقل الذى يمكنه من الإستنباط والتطور الحضاري ومحاولة تيسير معيشته والقياس على الطبيعة واختراع أدواته عن طريق مراقبة المخلوقات .. إلى غير ذلك من الأمور التى لا يفعلها غيره

وبطبيعة الحال ما دام الإنسان مخلوق يصنع أدواته ويطور ذاته فلا شك أن عقله حتما سيسأل أين خالق هذا الكون ومن صنعه ؟!، وبالتالى فإنه سيؤمن بوجود خالق حتما حتى لو لم يشهد رسالة رسول محدد بشريعة العبادة،

وقد رأينا تطبيقات عملية لمواقف تعرض لها ملحدون مشاهير أو دعاة فجور وعلمانية مشاهير، ظهر فى تلك المواقف البسيطة أنهم يعلمون يقينا أنهم يخادعون الناس بدعوى الإلحاد، فمنهم مُخرجة سينمائية شهيرة معروفة بحربها الشرسة لأى مظهر للإيمان أو الشرع، وظهرت فى أحد برامج المقالب السخيفة وكان المقلب مرعبا لوجود سحلية ضخمة توشك على افتراسها بينما توشك المخرجة على الغرق في رمال متحركة،

وهنا صاحت بأعلى طبقات صوتها صارخة (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين).. وظلت ترددها بشكل هستيري حتى كشفوا لها الخدعة !!

ولكن ما أكفر الإنسان حقا .. !

فعندما اكتشفت المقلب وعرفت بعد ذلك أن الكل شاهدها وهى تردد أشهر أدعية الإستغفار، شعرت بمدى خذلانها أمام الناس فطافت كافة البرامج الحوارية لتعلن أمامهم أنها كانت تعلم بخدعة المقلب مسبقا وأنها اتفقت مع مقدم البرنامج على ذلك

وأنا أقسم على الغيب أنها كاذبة وأنها بالفعل رددت الدعاء عندما شعرت بقرب الموت فلما انفضحت غلبها شيطانها مجددا ..

وقد أبلغ الله تعالى فى القرآن الكريم عن أمثال تلك المواقف حيث يتضرع غير المخلص كالمخلص تماما فى شدته ولكن مغ إن تنكشف غمته حتى تعود نفسه سيرتها الأولى، وذلك فى قوله تعالى ..

(فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)

فتأملوا ؟!

لو أننا درسنا أصول الفقه !! ..

غياب الدراسة والوعى لعلم أصول الفقه ومبادئه سبب فى ثلاثة أرباع كوارثنا الفردية والمجتمعية على حد سواء وذلك لسبب بسيط، وهو أن أصول الفقه هى العلم الأخطر في الشريعة حيث تحدد لنا أصول الفقه معالم التحريم والتحليل كما أنها تحكم تطبيق النصوص على الواقع وتحدد القاعدة من الإستثناء، كما أنها تختص ببيان الفاضل والأفضل، والسئ والأسوأ، وسأضرب لكم أمثلة بسيطة لبعض الظواهر التى تسبب فيها غياب الأصول عن ثقافتنا ..

أولا : الجدل الأزلى فى عالمنا المعاصر حول مصطلح (تطبيق الشريعة) جعل الناس يفهمون أن القصد الحقيقي هو تطبيق الأحكام فقط، بينما المصطلح الأصولى الواجب التطبيق هو (إقامة الشريعة)، والفارق بينهما شاسع جدا، فتطبيق الأحكام التشريعية ليس معناه بالضرورة أنك ستقيم الشريعة، فمن الممكن لدولة ظالمة أن تطبق كافة الأحكام حرفيا على أفراد الناس وتترك كبارهم فهنا لا يمكن اعتبارها ـ وفقا للأصول ـ دولة تقيم شرع الله لأن الهدف الأصولي للشرع هو إقامة العدل لا إقامة الظلم مع تطبيق الأحكام

الأنكى من هذا أن الناس تعاملت مع القوانين الوضعية المعاصرة بصفتها أحكام مناهضة للشريعة في مجملها، بينما الحقيقة غير ذلك، فالقانون الوضعي المحرم فى الشريعة هو القانون الذى يتصادم بوضوح مع قانون من قوانين الشرع، أما إن كان القانون الوضعى يعالج حالة سكت عنها الشرع أو أباحها أو شرعها فهو هنا قانون معترف به فقها دون أي مشكلات لأن أكبر ميزة فى قوانين الشريعة أنها احتوت مساحة ضخمة للتنظيم والتقنين تحت مظلتها تتطور بتطور الزمن والظروف

هذا طبعا مع مراعاة أن أحكام الشريعة المحددة بتفصيلاتها واجبة التطبيق بشروطها ولا يجوز استبدالها بغيرها كالحدود وأحكام المواريث وقوانين البيع والشراء ونحوها

ثانيا : بسبب غياب الأصول يحرص الناس على تفادى الكبائر والذنوب المعروفة كالسرقة والزنا والقتل ونحو ذلك، ويحرصون على أداء الفرائض المعروفة ويظنون بذلك أنهم قمة التدين، فى نفس الوقت الذى يتساهلون فيه مع كبائر خفية كفيلة بإفساد أى رصيد حسنات مهما بلغت ضخامته، مثال ذلك نفاق الحكام والدفاع عن أفعالهم بحق وبباطل، فهذا بالإجماع يفضي بالمسلم لنفس جزاء الحاكم الظالم سواء بسواء، ومثل الغيبة والنميمة والطعن بالأعراض حيث يظنون أن المحرم هو الرمى فى العرض بينما الطعن فى العرض المقصود به أى مسبة أو شتيمة أيا كانت ووفقا للحديث فإن الإستطالة فى السب والشتم لعرض المسلم هى من أربي الربا،

وأيضا من أكثر المنكرات المنتشرة التى يظن أصحابها أنهم على فى قمة التدين التعلق بأشخاص العلماء أو الشيوخ أو الصالحين، فهؤلاء ـ حتى إن كانوا أتقي الأتقياء ـ فحبهم واتباعهم مشروط بعدم التقليد المطلق أو الإتباع الكامل أو الظن بأن وجودك لجوارهم هو السبب في علو قدرك عند الله، فهذه طامة كبري يوشك صاحبها على الهلاك، فنحن مأمورون باتباع العلماء ومحبة الصالحين لكن دون الظن بعصمتهم أو وجوب صلاحهم

ثالثا : وهناك عادة منتشرة أيضا بيننا وتنتشر بين الملتزمين لا المفرطين وهى النظر بإحتقار لأصحاب المعاصي أو معايرتهم بمعاصيهم، وهذه نقطة فيها لبس رهيب، فالمطلوب هو احتقار المعصية لا احتقار صاحبها لأنك إن احتقرت العاصي وأحسنت الظن بنفسك وبالتزامك فأنت حينها تزكى نفسك على الله ولا شك أنك بالمعايرة والإحتقار ستقع في نفس المعاصي التى احتقرتها في صاحبك مهما طالت بك التقوى

* كيف انتصرت أمريكا على السوفيات رغم هزيمتها الفادحة أمنيا أمامهم ؟!

فى عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت العولمة الإقتصادية سيدة الموقف، وكل دولة من العالم أدركت هذه الحقيقة سعت بكافة قوتها إلى تأمين نفسها من مخاطرها،

بينما الدول التى ظلت على نفس طريقة التفكير القديمة انهارت أو كادت،

وعندما بدأت الحرب الباردة بين السوفيات والأمريكيين كانت كل التوقعات تشير إلى هزيمة الأمريكيين ـ رغم امتلاكها القنبلة الذرية منفردة ـ وذلك بسبب التفوق والخبرة الكاسحة للسوفيات فى مجال الأمن والمخابرات والحروب النظامية، وكلها أمور كانت أمريكا ضعيفة الجانب فيها، بل حتى على مستوى المذهب الإقتصادى كان التفوق الشيوعى الكاسح بدعوته المبهرة بالمساواة يكسح الرأسمالية ويهدد عروشها فى أوربا وآسيا وأمريكا الجنوبية،

ورغم كل هذا نجحت الولايات المتحدة فى الإختبار لعدة عوامل :

أولا : تفوق السوفيات فى الأمن والمخابرات كان كاسحا حقا، حتى أنه يمكن أن نقول أن النتيجة تقريبا كانت ١ : ١٠ لصالح المخابرات السوفياتية التى مرمطت سمعة الأمن الأمريكى من أول مواجهة عندما نجحت فى كشف سر القنابل الذرية بتجنيد أحد العلماء الأمريكيين وزوجته في قضية (روزنبرغ)، ثم كانت خاتمة أعمالها بتجنيد أحد أهم رؤساء الأقسام فى الإف بي آى نفسه، وما بين هاتين العمليتين عشرات العمليات الناجحة،

وفى ناحية التسليح تفوق التسليح السوفياتى على التسليح الأمريكى بمراحل، وكان للسوفيات السيادة فى مجال الصواريخ من حيث الكم والكيف، كما كان السلاح السوفياتى أعلى كفاءة وأرخص سعرا ونجح فى سائر الإختبارات العملية مع الهند وفيتنام ومصر وغيرهم،

ثانيا : دخل الأمريكان المعركة مع السوفيات بثلاثة عناصر لم يكن السوفيات يجيدونها إطلاقا، فاستسلم الأمريكان للتفوق الأمنى السوفياتى ظاهريا، ودخلوا المعركة بهذه الأسلحة الجديدة التى كان لها السبق على ساحة المعركة وهى

(منظومة الإعلام ـ منظومة الإقتصاد والرفاهية ـ منظومة الحريات)،

وبالطبع كان التفوق الأمريكى إعلاميا عبر أفلام هوليود وشبكات القنوات الفضائية جبارا فى تشويه صورة السوفيات أمام مواطنيهم أنفسهم، وعبر الهجوم الكاسح على الشيوعية وتصويرها بالبشاعة وبالمقابل الترويج للمجتمع الرأسمالى وكأنه مجتمع ملائكى وجنة الغرب، جنبا إلى جنب مع اعتماد

النظام الديمقراطى الظاهرى الذى اصطنعته رأسمالية الشركات وتحكمت فيه، ثم كانت منظومة الإقتصاد الرأسمالى هى رأس الحربة فى إبهار الشيوعيين وتكفيرهم بحياة الشيوعية المنغلقة، ولم تؤثر هذه الأسلحة فى البداية تأثيرا واضحا،

واستمر المد الشيوعى ولكن بمرور السنوات أصبح التأثير فادحا جدا، خاصة بعد أن عجز حكام الحقبة السوفياتية فى تأمين حياة إقتصادية مناسبة لشعوبهم أو حتى رجال حكمهم، وهو ما أدى لانشقاق العديد من ضباط المخابرات والمواطنين ولحاقهم بأمريكا وبريطانيا وفضح سياسة السوفيات القمعية القائمة على إهمال الإقتصاد والتركيز على نفقات نشر الشيوعية ونفقات التسليح النووى،

حتى جاءت مرحلة جورباتشوف الذى كان فيما يبدو أحمقا جدا [٢]، لأنه ابتكر سياسة البروسترويكا والجلاسوسنت التى تعنى المصارحة والمشاركة، وقام بمصارحة الشعب السوفياتى الذى ينتظر الرفاهية والمستوى المعيشي منذ سبعين عاما دون جدوى، فقام بمصارحتهم بأن الإقتصاد السوفياتى أوشك على الإنهيار وأن كل ما كان يردده عليهم قادة السوفيات من أن الخير قادم والإقتصاد سيرتفع إلى آفاق تتفوق على الغرب كل هذه الوعود كانت مجرد دعاية سوفياتية وأنه يريد من الشعب السوفياتى إدراك الحقيقة والوقوف إلى جانب بلادهم وتحمل

(٢) تشير بعض التقارير إلى أن جورباتشوف كان عميلا نائما للأمريكيين وأن ما فعله فى سياسته كرئيس لم يكن غباء بقدر ما كان تدبيرا محكما لإسقاط الإتحاد السوفياتى فى الفوضي

الضنك المعيشي لسنوات أخرى حتى تأتى الرفاهية المنتظرة !!!!

ولكم أن تتخيلوا رد فعل المواطنين فى أصقاع الإمبراطورية السوفياتية، حيث كان الرد مدمرا وخرج العمال فى كافة أرجاء السوفيات وأوربا الشرقية يلعنون الشيوعية وقادتها وينبشون قبر لينين وستالين وانهار الإتحاد السوفياتى إنهيارا مفاجئا لم يتوقعه حتى الغرب نفسه وتفتت كافة دُوله ولم يبق منها إلا الدولة الشيوعية الأم وهى روسيا وسقطت الشيوعية بأكملها فى العالم،

وكان دور السوفيات أنفسهم فى تحطيم دولتهم أكبر من دور أعدائهم بدكتاتورية إتخاذ القرار وسياسة قمع المعارضة الوطنية والتكريس لفساد النظام الحكومى وتقريب أهل الثقة والبطش بأهل الخبرة ومطاردتهم باعتبارهم جواسيس للغرب !، والأهم من ذلك إهمال البعد الإقتصادي للشعب تماما والركون إلى قناعة أن الشعب لن يثور ولن يضحى باتحاد بلاده مهما كان الإقتصاد مترديا وذو منظومة فاسدة

* الإغتيال الثقافي للشعوب ..

فروق ضخمة وكثيرة توجد بين شعوب الشرق وبين شعوب الغرب، فالشرق الأقصي والأدنى والأوسط يختلف ثقافيا تماما عن الثقافة الأوربية والأمريكية،

وهناك فارق مؤثر فى قصتهم معنا ومع شعوب شرق آسيا ألا وهو مسألة تصدير الثقافة فالشرق عموما وخاصة الشرق الإسلامى لا يلجأ للقوة القاهرة فى فرض قناعاته الثقافية ونظرته للحياة والأديان والأوطان والعادات والتقاليد ويكتفي بإبراز اعتزازه بثقافته وعلمه وعاداته ودينه، ويعود ذلك لسبب رئيسي مفتقد فى الغرب وهو شدة العاطفة التى تحكم شعوب الشرق نحو إنتماءاته الوطنية والثقافية،

وفى فترة تألق الشرق علميا وثقافيا كانت الثقافة الشرقية تطغى على الغرب بفعل التأثير المعنوى والقوة الناعمة، بينما الغرب ـ على عكس كافة شعاراته المضحكة ـ لجأ فى فترات قوته كلها منذ الحضارة الرومانية وحتى اليوم إلى القوة الباطشة لفرض ثقافته وعاداته وثوابته الثقافية على الشعوب التى قام بإحتلالها، وإن اختلف أسلوب القوة نفسه ..

فبينما فى عهد الرومان كانت القوة المستخدمة هى القوة الغاشمة بالتعذيب والقتل، لجأت بريطانيا وأمريكا تحديدا

لأسلوب السيطرة الناعمة على مؤسسات التعليم والثقافة فى البلاد الخاضعة لسيطرتهم ولجئوا لغسيل المخ واغتيال ثقافات وتاريخ الشعوب فى نطاق الأجيال الجديدة، وعمل نقطة فصل هادمة بين الأجيال الجديدة وبين سابقيهم بحيث يخرج من داخل هذه الشعوب من يتبرأ من ثقافته وتاريخه ويعتبره سبة وعارا، وينتمى بكامل عاطفته لثقافة الغرب المعلبة وتاريخه المصنوع مع تجاهل تام لبشاعة التاريخ الغربي الحقيقي وممارساته التى تسببت فى إبادة أجناس ودول بأكملها من وجه الأرض

كانت أكبر تجربة اغتيال ثقافي ناجحة قام بها الأمريكيون والبريطانيون هو ما فعلوه بالألمان واليابانيين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، فالبريطانيون والأمريكيون أدركوا أن تحطيم القوة العسكرية لألمانيا فى الحرب العالمية الأولى لم يفلح فى ردع الألمان عن إعادة تكوين أنفسهم بعد أقل من عشرين عاما ليعودوا فيحققوا الإنتقام من أوربا كلها، كذلك اليابان كان الهوس الإمبراطورى وإيمان الشعب به هو الدافع الرهيب للنهضة العسكرية ..

فلجئوا مباشرة لدراسة أسباب هذا النهوض وكانت النتيجة تكمن فى الثوابت الثقافية لدى البلدين لهذا سيطروا على التعليم والثقافة سيطرة تامة لتصبح ألمانيا واليابان أشبه بولايتين أمريكيتين لا ينقصهما إلا العلم الأمريكى فقط، وبالطبع مزجوا هذا التغيير الثقافي بفتح مجال التقدم الإقتصادى ـ الإقتصادى فقط ـ أمام اليابان وألمانيا ونشطت أجهزتهم لنشر ثقافة التقدم

التقنى ورفاهية معيشة السلام ـ كما أطلقوا عليها ـ وفى المقابل تم تحجيم القوة العسكرية وصناعة السلاح وتحريمهما، فضلا على أهم عنصر وهو نشر ثقافة العداء لتاريخ البلدين فيما قبل الحرب العالمية لتخرج الأجيال الجديدة مؤمنة إيمانا كبيرا بأن أجدادهم كانوا هم أهل الشر والعدوان بينما أمريكا وبريطانيا هم أهل السلام والرفاهية وحقوق الإنسان وأن كلا من أمريكا وبريطانيا أنقذوا العالم من شرور هتلر والإمبراطور هيروهيتو، !

والعجيب أن الثقافة المعلبة لم تنجح فقط فى هذا بل أصابت الأجيال الجديدة بعمى ألوان، فهم يشاهدون بأم أعينهم آثار وأفعال بريطانيا وأمريكا فى العالم ومدى الكوارث التى تسببوا فيها لكن هذا لم يغير من موقفهم شيئا،

وغنى عن الذكر أن نفس الأسلوب تم اتباعه فى الشرق منذ بداية عهد الإحتلال البريطانى والفرنسي وصولا للإحتلال الأمريكى لكنهم مع بلادنا فى الشرق الأوسط لم يكونوا بحاجة لإستخدام ثقافة الرفاهية والتقدم، فقد اكتفوا بثقافة التناحر المريضة وثقافة الإستبداد التى تحكم أنظمة الحكم ليضمن الغرب بوقوع شعوب الشرق الأوسط بين مصيدتين كبيرتين، الاغتيال الثقافي مع الإغتيال الإقتصادى والسياسي وكلاهما تسبب فى تجريف آمال الإصلاح

* لماذا لم يهاجر النبي عليه السلام للطائف؟!

لماذا لم يهاجر النبي عليه السلام للطائف أو أى قبيلة عربية قوية كى يستعين بها على قريش، وبلاش يستعين بيها على قريش، يهاجر لها طلبا للأمن والأمان ؟!

لماذا لم يذهب للروم فى الشام، أو للمقوقس فى مصر وكان الرومان أعظم حضارات الأرض ولم تكن لهم مشكلة عنصرية مع العرب مثل الفرس مثلا، لماذا لم يذهب إليهم ؟!

ذهب للمدينة المنورة لأنه عندما ضاقت مكة عليه بأفعال طواغيتها، لم يذهب لطلب الأمن إلى من هم أكفر وألعن لكى يلقي بينهم الأمان حتى لو افترضنا أنهم سيمنحونه ذلك الأمان فعليا،

لم يذهب لطواغيت أمثال قريش فى الطائف أو غيرها ولم يذهب لحضارة الرومان طلبا للتقدير وحظوة المكانة والمعيشة المرفهة فى مقابل تنازله عن كافة بوائق أفعالهم كإمبراطوية طغيان حكمت العالم بالحديد والنار لفرض عقيدتهم ونفوذهم

هذا هو الدرس والرد على من تضيق به السبل فى بلاده من العرب فيسعى ويبتهج بأقل فرصة تأتيه من شياطين بريطانيا والولايات المتحدة ويعتبر المعيشة هناك والحصول على

جنسيتهم أعظم وأسمى الأمانى التى يسعى لها، ويسب ويلعن ذلك اليوم الذى ولد فيه فى بلاد العرب ويظل يعمل كماكينة دعاية مجانية تطعن فى كل ميزة لوطنه فى مقابل تجميل كل قبيح فى بلاد أعدى أعداء أمته ..

والمبرر الجاهز أنها بلاد التحضر التى تقدر قيمة المواهب وقيمة الإنسان ؟!!

درس الهجرة هنا يعطيك دليلا ساطعا على أن الله أباح لك الهجرة متى شئت ومتى عجزت عن الإحتمال بشرط ألا تبادر بها إلى بلاد أعدائك حتى لو أتيحت لك الفرصة هناك لتكون فى أعلى مراتبهم، فأنت حينها كالمستجير من الرمضاء بالنار، وموقف كل إنسان له فطرة سليمة من هذين البلدين تحديدا أمريكا وبريطانيا ينبغي أن يكون واضحا لأن تاريخهم وحاضرهم بالغ الدلالة على ما فعلوه ويفعلوه بكل أقطار الأرض،

* ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ..

والله ثم والله إنها مأساة بلغت مدى الضحك من منهج اللامعقول الذى يحكم تصرفاتنا،

والحكاية تتلخص في قول الله عز وجل :

[الَّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا] {الكهف:١٠٤}

آية مرعبة فعلا،

يعنى هو ممكن يكون فيه ناس بتبذل قصاري جهدها وتتعب وتكد وتدرس وتعلم وتفتكر نفسها أحسنت أحسن الصنيع، وفى الآخرة يلاقوا أنفسهم ــ عياذا بالله ـ فى سجل الذى ضل سعيهم فيتساوون بمن قضي عمره فى فتن المعاصي، ولكن مصيبتهم تكون أكبر من هذا لأن العاصي أو مجرم الدنيا لم يبذل شيئا أصلا لله وقضي حياته فى متاع الغرور

كان أكبر همى عند دراستى للشريعة أن أعرف حدود ومدى هذه الآية، كما أنى عجزت ـ قبل الدراسة ـ عن تطبيق الأمثلة الواقعية من عصرنا للآية حتى تتيح لى الفهم،

وظلت هذه الحيرة قائمة حتى وفقنى الله لدراسة علم أصول الفقه، وحتى لا ندخل فى تفصيلات علمية فأصول الفقه علم

مستقل هو الأهم فى مجال الشريعة والأكثر احتكاكا بحياة الناس وهو العلم الذى يشتمل القواعد العامة التى تحكم تطبيق النصوص ـ ومن هنا جاءت خطورته ـ وقد اتفق العلماء أن المفتى لا يكون مفتيا للناس فى واقعهم بغير دراسة لهذا العلم وإلا ضل وأضل ولو كان أعلم الناس بأقوال المذاهب .. ذلك أن الفارق بين الفقيه المفتى وعالم الفقه كالفارق بين الصيدلى والطبيب، فالصيدلى يعرف نوع ومحتوى وتأثير كل دواء، لكنه لا يستطيع قطعا أن يصف الدواء لحالة مريض بعينه، فهذه هى وظيفة الطبيب المختص الذى درس أصول الطب ويجيد التشخيص ومن ثم وصف الحالة ..

وعقب إدراك بسيط لعلم أصول الفقه تفتحت أمامى مئات الأمثلة على تطبيقات الآية السابقة، وأنا الذى كنت أحتار فى إيجاد مثال واحد ..

وأكبر وأكثر مثال يثير الأسي هو ما وقع فيه بعض حسنى النوايا من الدعاة ممن أعطاهم الله قدرة البيان للناس، وأعطاهم العلم فى مجالات أخرى غير مجال علم الأصول وسادوا على جماهير غفيرة، ولا يمكن إنكار الخير الذى قدموه غير أن احتدام الصراع بينهم وبين مختلف العلماء تسبب فى كارثة واقع المسلمين الآن بلا أدنى مبالغة، ولا شك أن الخلافات السياسية والمذهبية ساهمت فى إشعال الفتنة

ونختصر المثال بالقول أن هؤلاء الدعاة تخصصوا ـ حصرا ـ فى مجال النصح والإرشاد والدعوة فى العبادات المقربة لله

والنوافل والرقاق وركزوا عليها تركيزا شديدا فى نفس الوقت الذى أهملوا فيه ـ تحت تأثير سياسي طبعا ـ معظم القضايا المتعلقة بفقه الواقع والنوازل، فمنهم من تركها جُملة، ومنهم من تعرض لها عرضا، فى نفس الوقت الذى طبعوا فيه كتبا وأخرجوا حلقات متلفزة تملأ المحيط وردود باذخة على فرعيات الشريعة التى لا يتصور عاقل أن نغرق فيها بينما العقيدة وأصول الشرائع وفرائض المعاملات يتم انتهاكها بشكل يومى فى المجتمع العربي

وزادت الطامة أن أتباع هؤلاء الدعاة اكتفوا بالذى أخذوه فى الرقاق وظنوا فيه أبلغ التقوى، مما جعلهم لا يسألون أساسا عن مصائب واقعهم اليومى الذى يرتكبون فيه أطم الكبائر ولا يحسبون لها حسابا

وتكفينا مقولة الإمام العز ابن عبد السلام رحمه الله (إذا نزل الفقيه بأرض فشا فيها الزنا، فحدثهم عن حرمة الربا فقد خان أمانته)

والمقولة واضحة بجلاء وفيها أكد العز أن الفقيه ملزم بالتكرار والترديد والإستطالة فى قضايا واقع أمته فى زمنه، فيوجه تركيزه على البلاء السائد ولا يحل له الإلتفات لغيره بالتركيز وأكرر بالتركيز ـ حتى فى الفرائض ـ طالما أنها ليست منتهكة على نطاق واسع ، فتخيلوا ماذا فعل بنا هؤلاء وهم يهتمون بالفضائل والنوافل التى يصح النصح بها لمن كملت فروضه، وأهملوا فى نفس الوقت كوارث واقعنا التى لا ينتهى فيها حديث أصلا

ولكى ندرك الأمر،

تعالوا نتأمل مثلا عدد الدروس والمحاضرات والكتب والردود العلمية المسهبة التى تم توجيهها فى شأن السنن والمستحبات كاللحية وإسدال الإزار والنقاب والتدخين، وقارنوها معى بعدد المحاضرات التى خصصها هؤلاء الدعاة لموضوعات مثل دفع الظلم عن الشعوب من الحكام، ومحاربة الفساد الإدارى والرشوة الذى صار سمة لدول بأكملها يشارك فيه المواطنون على اختلاف درجاتهم،، وكم محاضرة أو رد أفردوها لنقد وتسفيه البذخ فى الأموال والمظهرية وعدم إنفاقها فى سبيل الله من تحسين سبل العيش الكريم والتعليم والصحة ، وكم محاضرة أفردوها لمعالجة الطغيان الذى عم البلاد والعباد وتحكم السفهاء فى مصائر الشعوب واستيراد العرب لكل شيء من الغرب وبسط سيطرتهم عليهم سياسيا واجتماعيا وفكريا، وكم محاضرة صدرت فى ردع الظلمة الذين يطبقون العقوبة على أفراد الناس فإن جاء أولوا الحظوة بأضعاف الجرائم لم ينلهم شيء

وأخيرا ..

كم محاضرة أفردوها لمعالجة الفتن والفرقة فى المجتمع وتذكير الناس أن ضرب وحدة المجتمعات المستقرة فى أى بلد مسلم هو الشر الأعظم الذى يجوز فيه للحاكم وأهل العلم ردعه بشتى الوسائل وسد الذريعة المفضية إليه مهما كانت التضحيات، وكم محاضرة ظهرت لتقول أن إفراغ الحماس والعداوة والبغضاء فى مباريات كرة القدم والخلاف السياسي

والإجتماعى حول توافه القضايا هى أشر ما يجب تجنبه خاصة ولو أنك تأملت أحوالنا اليوم فقلما تجد شخصين فى عائلة واحدة يتفقان فى أى شيئ أيا كان !

وسبحان الله

* مأساة الحكم على القضايا المصيرية

من أوائل الدروس القيمة التى نتعلمها فى العلوم السياسية على يد مخضرميها، بل وفى سائر العلوم،

أن الجرأة فى إبداء الرأى والتحليل إنما هو سمة لصيقة بأهل الجهل وأهل الهوى، بينما التردد والمراجعة والتأنى والحذر هو سمة أكابر المتخصصين، وليس فقط صغارهم،

ووجدت نفس المعنى أيضا فى علوم الفقه، وربما تبدو المعادلة غريبة وعجيبة، إذ كيف يمكن أن يتردد المتخصص ويطلب وقتا للإجابة على سؤال بسيط، بينما يتجرأ غير المتخصص على الإفتاء، والواقع أن هذا هو الطبيعى، فالجهل والهوى سمة مصاحبة للطيش والرعونة وعدم تقدير عواقب الأحكام، بينما كل من درس ولو خطوة واحدة فى طريق العلم تجد لسانه مقيدا بألف قيد، ويخشي ويتردد فى إبداء رأى حاسم قبل مراجعة أوراقه وكتبه وإذا كان قد راجعها فعلا ووعى ما فيها، تجده حريصا على أن يأخذ وقته فى التفكير والتفكر قبل الحكم النهائي على القضية ـ موضوع النقاش ـ ووضعها على رف القضايا المنتهية بالنسبة له

والفارق ضخم بين التفكير والتفكر،

فالتفكير يكون فى محتوى العلم ذاته وكتبه ومراجعه، بمعنى أنه وسيلة للفهم، أما التفكر فهو نتاج دمج حصيلة القراءة والدراسة وإخراج الفكرة الجديدة بناء على هذه الدراسة

ومن المضحكات المبكيات فى الواقع أن نعرف مثلا أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انتقد فى عصره بعض الفقهاء لجرأتهم فقال فيما يروى عنه :

(تراهم يفتون فى مسألة، لو أنها وقعت فى زمن عمر ابن الخطاب لجمع لها أهل بدر)،

يعنى بذلك أن تلك المسألة التى يستهين بها الناس ـ من وجهة نظره ـ كان عمر يجمع مجلس كبار الصحابة حتى يجتمعون على رأى فيها

ولكم أن تتخيلوا بعد أن نتأمل مجتمعنا الحالى فى كافة المجالات سواء سياسة أو تاريخ أو شريعة أو حتى فى الطب، وتتخيلوا كيف سيكون رد فعل ابن عباس لو حضر عصرنا ..

وتكفينا مصيبة واحدة تحدث يوميا لكى ندرك ماذا فعلنا وماذا نفعل بأنفسنا،

انظروا مدى سهولة ويسر إلقاء تهم الخيانة والعمالة والإستهانة بالأعراض، وانظروا إلى حماقة بعض الأفكار التى نجدها فى آراء السياسة وغيرها سواء من الحكومات أو من الجمهور، لتعرفوا أن المنطق تقدم بطلب هجرة من المنطقة العربية قبل ستين عاما على الأقل ولم يعد لها حتى الآن !

والمصيبة السوداء أن المجتمع بتناقضاته الفادحة يستسهل رمى الخيانة بمجرد الظن على بعض المتكلمين بالمنطق، بينما تجده مخدوعا فى بعض الأحيان ببعض الشخصيات التى لم تكتف بالخيانة أو العمالة الصريحة، بل جهرت بها علنا ومارستها بشكل مفضوح لا ينقصهم فعليا إلا تعليق بادج (صنع فى أمريكا) ومع هذا لهم أتباع ومروجون ومدافعون عنهم أيضا !

تقلصت المسافات بشكل رهيب بين أوضح الواضحات، حتى صار الحكام والمسئولون يقعون فى أخطاء لا يقع فيها طفل فاقد التمييز بتصريحات لا تخرج إلا مخبول، وصار من المعارضين من يري بل ويدعو إلى تفكيك الدولة والجيش ويمارس معارضته التليفزيونية من بلاد هى أعدى أعداء شعبه، ومع ذلك يتهم بلاده بالعمالة لها فى تناقض يليق بعنبر العقلاء !

يحدث هذا،

رغم أن المنطق المباشر يثبت كل يوم أنه أنجح سياسة تليق بشعوب المنطقة على الإطلاق، لأن المتحدث ـ أيا كان موقعه ـ لو سلك الصراحة البسيطة سيعبر إلى قلوب الناس بسهولة، وقد فعلها عمالقة من قبل مثل محمد حسنين هيكل، كان يخرج ليعلن فى بساطة أنه صاحب هوى ناصري وأن هذا الهوى يتحكم فيه، ثم يتعهد للناس أنه يبذل قصاري جهده لكى لا يكون تأثير هذا الهوى عتيا فى أحكامه،

وفعلها العقاد، عندما أعلن أنه لا يزعم بأن شخصيته فيها شيء من التواضع، أو الهدوء بل يعترف بعصبيته واعتداده

الشديد بنفسه، ولكنه يضيف بأنه لا يوجه هذه الصفات نحو إنسان إلا إذا كان يستحق بالفعل هذه المعاملة عقابا على سوء أدبه ..

وفعلها العملاق إمام الدنيا فى زمانه، الإمام ابن حزم، وقال أنه رجل يعانى من داء القولونج ـ القولون العصبي ـ وأن فيه حدة وصرامة فى ردوده لا يستطيع أن ينكرها إلا أنه يتعهد بأنها لا تمنعه من الدفاع عن حق يراه حتى يتبين له العكس،

وفعلها صلاح الدين الأيوبي عندما امتلك زمام الأمور فى مصر ورأى قضية القدس كمحور لحياته، فصارح الجميع بأنه لن يتمكن من النهوض إلى تلك المهمة قبل أن يتخلص من أذناب الدولة العبيدية [٣] ومؤامرات الأمراء المتحالفين مع الصليبين لكى لا يكونوا شوكة فى ظهر الجيش كما فعلوها مرارا

الصراحة مع النفس والنظر فى المرآة فلسفة ظاهرها البساطة، وهى بسيطة بالفعل، ولكنها صعبة جمة الصعوبة عند التعود على ممارستها فى البداية، أما بعد ذلك إذا نجح الإنسان فى قهر نفسه، فسيكون الأمر عندها لعبة محببة بالنسبة له، ومخالفة هواه ستكون متعته الأثيرة، كما كان الفاروق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، يفعل، فقد جعله الله حجة على هذه الأمة، حتى أن انتصاره على هوى نفسه فى كل موقف وموطن

(٣) الدولة العبيدية هو المسمى الصحيح للدولة الفاطمية وهى الدولة العبيدية الخبيثة كما سماها المؤرخ الفقيه جلال الدين السيوطى وكانت دولة شيعية خبيثة تنتمى لعقيدة ملاحدة الشيعة الإسماعيلية وظل المصريون يقاومونها لأكثر من ٢٥٠ عاما وفشلت محاولاتهم فى تحويل مصر للمذهب الشيعي وتم طردهم إلى لبنان فى زمن صلاح الدين الأيوبي

جعل الشيطان نفسه يفر من مواطن وجوده، وكيف لا، وقد أتعب من بعده فى هذه الصفة العظيمة، بترويضه جنبات النفس ولو دفعته إلى هوى حلال زلال،

رضي الله عن عمر وسائر الصحابة وصلي اللهم علي نبينا محمد وآله عليهم أفضل الصلاة والسلام

* لا يهمنى انت مين، يهمنى انت إيه ..

رغم أنى من المفترض طالب علم فى السلك الأكاديمى، وعلى عادة الناس أو الباحثين بهذا المجال الجامعى أنهم يقدمون الدرجة العلمية على العلم ذاته،

لكنى لا أؤمن بهذا إطلاقا،

لأن ما شاهدناه عبر التاريخ، أن السلك الأكاديمى هو الطريق الأوثق والأنسب لتلقي العلم لكن مع ملحوظتين فى منتهى الأهمية..

الأولى : أنه ليس الطريق الوحيد إطلاقا، والأمثلة على ذلك أكثر من أن نحصيها وهى ليست مجرد استثناءات بل هى متعددة ومتكاثرة للدرجة التى تجعلها هى الأصل وغيرها هو الإستثناء، فمعظم عباقرة المجالات الفكرية والنظرية، والعمالقة المؤسسون فى تاريخ هذه العلوم درسوا أصول تلك العلوم ونبغوا فيها خارج إطار التعليم التقليدى، وأساتذة الجامعات والحاصلين على الدرجات العلمية كانوا فى الأغلب الأعم نقلة علم ومحترفي تدريس لهذه المجالات التى تخصصوا فيها لكن الإبداع والتجديد والإنشاء كان ولا زال ظاهرا فى نوعية العلماء الذين تعلموا خارج هذا الإطار، ولا تفسير عندى لذلك إلا أن العالم الموهوب والمفكر الإستثنائي يقتله الروتين

فى نظم التعليم، فحتى لو ظهر فيهم مواهب خلاقة فإن تلك المواهب تضمحل بسبب اتخاذ العلم نفسه مهنة يمارسها بشكل متكرر، وهو ما يقتل لديه حاسة البحث واستمرارية الإبداع

الثانية : أن طالب العلم الحقيقي غالبا لا يجد الفرصة لدراسة المجال الذى يحبه بسبب نظم التعليم ذاتها، فيضطر لاكتساب الدراسة فيه من خارج المجال الرسمى ويصبح فعليا واحدا من أكثر الخبراء فيه رغم أنه لم يحصل على شهادة رسمية بهذا ولدينا أمثلة تعتبر مصائب حقيقية على نظم التعليم عندما نكتشف أن هؤلاء العلماء الذين هم مصادر ومراجع لأصحاب الماجستير والدكتوراة تم وضع العراقيل أمامهم لدراسة تخصصهم بشكل رسمى،

أقول هذا لألخص مبدأ هام يجب على كل منا التعامل به ،

أنا لا يهمنى درجتك العلمية ولا عدد الشهادات التى حصلت عليها عندما تريد أن تتحدث فى مسألة علمية، ولا يمكن أن أقر لك بهذه الشهادات قبل أن أرى بعينى ما الذى ستقوله أولا وهل هذه الشهادات هى تعبير حقيقي عن العلم أم أنها مجرد ألقاب لإنسان يجيد اجتياز الإختبارات الرسمية وفقط،

وفى المقابل لو تحدث إنسان بكلام علمى موزون فكلامه له قدسيته عندى ولو كان هذا الإنسان أميّـا بشهادة الحكومة !

* الذنب الأول لفرعون ؟!

ما الذى أدى بفرعون لأن يصل لإدعاء الألوهية وتعذيب وتكذيب الأنبياء ؟!،

لا يوجد إنسان يصل لهذه المرحلة إلا إذا ارتكب فى حياته ذنبا يستحق عليه أن تستمر أعماله الشنيعة حتى حدها الأقصي وبلا شك أن القرآن الكريم عندما أخبرنا :

(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) ..

بلا شك كان التطبيق عبر التاريخ للآية شيئ معجز، والأمثلة فوق الحصر، لعل أشهرها ما فعله الله بفرعون، فالمشهور الذى نراه فى القصة أن الله عاقبه جزاء على إدعائه الألوهية، أو على عدم استجابته لموسي عليه السلام،

لكن الإدعاء بالألوهية جاء متأخرا،

لم يدعيه فرعون إلا بعد مجيء هامان فِي مرحلة متأخرة، وما فعله ببني إسرائيل فعل مثله سفاحون كُثُر لم يصلوا إلى حد الكفر المطلق،

لكن الذنب الذى ارتكبه فأفضي به لهذا، هذا الذنب يتمثل فى شيئ واحد أنه حارب القدر الإلهى وتصرف فى النبوءة التى أفزعته بتدابير وحشية يقصد منها منع القدر المنتظر من أن يتحقق،

لهذا أراد الله أن يجعل منه عبرة بأن جعل مكره وبالا عليه،

بمعنى أن تصرفات فرعون نفسها التى تصورها تنفعه فى منع سقوط عرشه على يد موسي عليه السلام، هى ذاتها التى جعلها الله السبب فى وقوع النبوءة،

ولولا تصرفات فرعون لتربي موسي فى حجر أمه وربما اتخذت القصة مسارا آخر، لكن تصرفات فرعون دفعته لأن يربي موسي فى قصره وتحت سمعه وبصره ولا يوجد درس قاس مستحق كهذا الدرس البليغ ..

العبرة الرهيبة المستخلصة من ذلك أنك إن رأيت فى منامك شرا تتوقاه من أمور الدنيا، واقتنعت بأنها رؤيا ستتحقق فلا تبادر لاتخاذ التدابير التى تظنها ستمنع عنك قدر الله،

ففي البداية ربما تكون حُلما كاذبا لا رؤيا، وحتى وإن كانت فكلما أخذت فى التدبير لمنعها وصدقت شيطانك بأنك تستطيع ذلك فاعلم أنها واقعة لا محالة بمقتضي التأديب الإلهى لك ..

أما من سلم وصدق ولجأ للفرار من القدر إلى صاحب القدر، فلا شك أن هذا كفيل بمنعه تماما وتغييره لأن الدعاء والصدقة تغير ذلك كما ثبت فى أكثر من حديث، وحتى لو لم يمنع الله ما قدره لك فثق أنك بدعائك وتسليمك له سينزل عليك بردا وسلاما وترى من أثره فيما بعد ما يجعلك تحمد الله على وقوعه..

* درس سمير الإسكندرانى

درس عبقري الذى أعطاه لنا الفنان والبطل المصري سمير الإسكندرانى،

فالمعروف عن بعض المغنيين أو ما يسمون بالمطربين، يغنى الواحد منهم لمصر ويتغنى والبلد بمن فيها لا تعنيه أصلا، وقد شاهدنا أمثلة العار مغنية تغنى لمصر ثم تسخر منها ومطرب آخر يتغنى الوطنية ثم تتم محاكمته لأنه متهرب من الخدمة العسكرية !!

لكن سمير الإسكندرانى عندما غنى لمصر (بنعاهدك يا غالية) لازم نرفع له التحية ونضمن له التقدير ونصدقه، لأنه قبل أن يتغنى بمصر عمل لأجلها الكثير، وهذا هو مغزى الدروس التى نتعلمها من قصته،

وأهم درسين فيهما :

* سمير الإسكندرانى فى شبابه وهو مغترب بإيطاليا تعرض لمحاولة تجنيد من الموساد،

وكانت محاولة كبيرة نظرا لشخصية سمير نفسها القائمة على التميز الشخصي، ولأنه ثعلب وذكى بالفطرة تجاوب معهم وشكر الله أن منحه الفرصة ليقاتل عن بلاده وعاد لمصر وأبلغ

جهاز المخابرات العامة، فتم إعداده للتجنيد المضاد فى فترة من أخطر فترات الحرب، ونجحت عملية سمير الإسكندرانى نجاحا مبهرا فاق توقع رؤسائه حقيقة لأنه لم يكتف فقط بتضليل الموساد بل كان له الفضل فى إستقطاب واحد من أهم قادة شبكات إسرائيل فى أوربا وسلمه لمصر

والدرس الأول الذى نتعلمه منه أنه صمت تماما طيلة أربعين عاما عن هذه العملية المشرفة !

فما تاجر بها ولا طالب بتكريم ولا حتى تكلم بتفاصيلها رغم مرور السنوات ورغم إعلان العشرات من عمليات المخابرات العامة وأنا لا أدرى كيف لمثله أن يتحمل الصمت عن هذا رغم أن أقل حقوقه أن يقول أنه كان مثل أبطال مصر رفعت الجمال والهوان وعمرو طلبة، ورغم هذا سكت،

ولا زال ساكتا لليوم !

والكارثة أن أول مرة يتم نشر قصته فيها كان فى نهاية التسعينات فى تحقيق صحفي كتبه أستاذنا الحبيب نبيل فاروق كان تنويها مختصرا دون تفاصيل عن تلك العملية الحافلة

* الدرس الثانى، وهو أوقع وأبلغ من الأول، أن من يري سمير الإسكندرانى فى شبابه بملامحه الأوربية وشعره المتطاير وأغانيه ذات المنهج الأجنبي الغربي واستخدامه للجيتار والدرامبز يحسب أنه أمام شاب لاهٍ عابث ليس لديه ذرة جدية أو مسئولية،

وتخيلوا إنه شاب بهذا المنظر يُنتج مثل هذه البطولات !،

ويكون هو المتطوع الذى يطلب إكمال العملية رغم خطورتها

العنيفة مع أنه كان يمكنه أن يكتفي بالإبلاغ عن محاولة التجنيد وكفي وبهذا يكون قد أدى واجبه ولن يلومه مخلوق عن ذلك، لكنه بادر للتجاوب مع الموساد من تلقاء نفسه تمهيدا لأن تستخدمه المخابرات المصرية كطعم،

ملخص الدرس أن المظاهر أثبت التاريخ أنها لا تعنى شيئا إطلاقا، أطال الله عمر بطلنا الإسكندرانى وجزاه وكافة المخلصين عن عملهم

* فلسفة الإنتماء ولماذا حرمه الله إلا للدين والوطن

الإنتماء أو كما يسميه فقهاء اللغة (النسب) هو أن ينسب المرء نفسه باسمه إلى شيء محدد، بحيث يصبح جزء منه خاضعا له، وتحته فى المقدار والقيمة،

ومن عجيب المفاجآت التى اكتشفتها فى دراسة الشريعة أنه أمرٌ محظور للغاية، أى أنه فى الأصل محظور

ومباح فقط فى حالات استثنائية مع الضوابط أيضا، ويرجع هذا الحظر بالأساس إلى أن الإسلام دين الله الخاتم، وما سبقه من شرائع جميعها نادت بأمرين جعلتهما فى قمة النداء والطلب من الله عز وجل إلى الناس

أولهما : التوحيد للخالق وحده وتنقية مشاعر العبودية الخالصة من كافة ما يشوبها أيا كان بحيث تتوجه إلى الله وحده

ثانيهما : النجاة من كل شر بعدم الفرقة والتحزب، والنهى المشدد عن ترك حبل الله الواجب أن نعتصم به جميعا

لهذا فإطلاق الإنتماء بلا محاذير جاء محرما لأنه ببساطة يقدح فى هذين العنصرين معا،

وفى خصوص الإنتماء الوطني ولعموم بلاد المسلمين كان النهي أشد تحذيرا وتضخيما، نظرا لأثره الفادح إذا خولفت هذه القاعدة،

فالقتال والدفاع لا يكون إلا عن مجمل الأوطان والمجتمعات، ويحظر تماما أن يكون القتال بنية الدفاع عن جماعة أو فرقة أو فى خروج على سلطة المجتمع أو التعامل مع مؤسسات الدولة والمجتمع نفسه على أنه بعموم مجتمع محارب

وهذا هو نص حديث النبي عليه السلام في قوله :

(من قاتل تحت راية عمية، يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة فَقُتل فقتلته جاهلية ومن خرج على أمتى يضرب بَرّها وفاجرها لا يتحاشي من مؤمنها ولا يفي بعهد معاهدها فليس منى ولست منه)

والحديث أصرح من أن يحتاج شرحا وفيه رد رادع عن هؤلاء الشرذمة من خوارج العصر الحديث ممن استحلوا التفجير والقتل على المشاع تحت زعم الدفاع عن جماعة الإسلام !

الخلاصة ..

تعامل الإسلام مع الإنتماء أو الانتساب بطريقتين،

الأولى : هى الانتماء الواجب أى أنه فرض جعله الله فرضا بمعنى أن الإنسان هنا يجب عليه الدفاع والقتال إن لزم الأمر كى يدافع عن هذه النسبة، وهذا الإنتماء هو الإنتماء للدين (الإسلام والسنة) والوطن (الأرض والأهل)

الثانية : وهو الإنتماء المشروط وهو الإنتماء للعشيرة والأهل والمذهب العلمى ـ إن وجد ـ وهو إنتماء مشروط لأنه إنتماء على سبيل التعريف بالفرد،

فانتماؤك فرض لأبيك كما تنص الشريعة، ولكنه إذا تحول إلى تعصب للعشيرة وقتال على إعلاء كلمتها على غيرها من الناس من باب الكبر صار تعصبا مذموما، ونفس الأمر بالنسبة للمنهج العلمى، فإنتماؤك ونسبك لمذهب معين كأن تقول مالكى أو شافعى إنما هو للبيان فإذا تعداه من البيان للتعصب صار من أشد المنكرات

فلو كان هذا هو حال حكم نسبة المرء نفسه للعشيرة والأهل والمنهج العلمى،

فكيف بمن هم دونه ؟!،

وكيف يمكن لمسلم يتبع سنة النبي عليه السلام أن يقبل بإضافة اسمه إلى مسمى شخص أو جماعة أو منهج وضعي أو حتى نادى كرة قدم !،

وتزيد الكارثة أن يتخذ من هذا الإنتماء عقيدة يوالى ويعادى عليها بحيث يصبح نقدها فى نظره .. جريمة، واتباعها .. فضيلة !

* مما علمنا النبي عليه الصلاة والسلام

بالطبع يضيق المجال بذكر أخلاق النبي عليه السلام لاتساعها وفيوضها الربانية، والتى اختصرتها السيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقولها (كان خلقه القرآن)،

ولكن هذا لا يمنع من إشارات محددة نتمنى أن نكتسبها .. ومنها ..

* أعظم درس فيها أن أخلاقه عليه السلام كانت دروسا عملية وليست نصائح واعظين !،

بمعنى أن النبي عليه أفضل التزكية والتسليم لم يكن يربي مجتمع الصحابة بأن يخبرهم بالأخلاق الحميدة، بل كانت أحاديثه القولية موجهة لتبليغ الشريعة أما الأخلاق فكان التدريب عمليا فكان يعلم الصحابة بالمواقف لا بالأقوال،

وهذا فى حد ذاته درس لم يستوعبه الكثيرون من عصرنا الحالى ممن تصدروا مشاهد الوعظ وتلقي المجتمع منهم الصدمات الرهيبة عند التطبيق الذى خالف كل ما ينصحون به الناس

* علمنا النبي عليه السلام أنه كان يربي رجالا، ولا يؤسس ميلشيات، وهذا وحده درس لا تكفيه عشر كتب لشرحه،

فالنبي عليه السلام هو النبي والرسول المُوحى إليه ـ ليس هذا فقط ـ بل هو أفضل الأنبياء والرسل وحبيب الله عز وجل، ورغم هذا ما اتخذ قرارا ولا صك تشريعا ولا بلغهم أمرا بالوحى إلا وطبقه على نفسه وأهل بيته قبل حتى أن يبلغه للناس،

ليس هذا فقط ..

بل درة التاج تكمن فى أنه رغم أنه صاحب الوحى إلا أنه ما أبرم قرارا إلا بمشورة ورأى مستشاريه من جموع الصحابة حتى لو كان الأمر أمر قتال فى سبيل الله، ما أمرهم بذلك على سبيل العزيمة بل خَيّرَهم ونفذ تعاليم ربه التى أوصاه بها فى القرآن الكريم

[فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ] {النساء:84}

بمعنى أنه أوجب على نفسه فقط حِمْل الجهاد والقتال وترك الأمر بالخيار لأصحابه إن شاءوا تبعوه وإن شاءوا قعدوا عنه (قارنوا هذا بمن حرض أتباعه على الدماء وفر هاربا يلقي عليهم دروس الفضائيات وهو آمن)

* ورغم أنه النبي الموحى إليه ما أخذته عزة النفس أمام مخلوق بسبب شخصه الكريم، بل ما غضب لنفسه قط، مهما تطاول عليه من أمامه من الأعراب، وما كان ليُظهر عزة النفس أمام المؤمنين إلا إذا كان هناك انتهاك لأمر الله فقط، ومن هنا جاءت القاعدة العظيمة لأهل العلم بأن العالم لا يعتز بنفسه ولا يعلو على أحد بشخصه بل يفعل ذلك فقط وجوبا إذا كانت الإهانة موجهة لقيمة العلم الذى يحمله،

بمعنى أكثر وضوحا لا يتعالى العالم أو حتى يعتز بنفسه أم طالب علم أو آحاد الناس إذا كانوا ممن يـُجِلون العلم وأهله، بل يجب عليه أن يتواضع لهم ويبذل له تقديره،

أما إن كان العالم فى مواجهة من يعتز بماله أو منصبه أو فى مواجهة من يحتقر العلم والعلماء فالوجوب هنا يتقضي منه أن يتعالى عليهم ويعلو عليهم بنفسه حفظا لمقام العلم الذى يحمله لا حفظا لنفسه

* من أخطر ما علمنا النبي عليه السلام أنه كان يتعامل مع الناس حسب طباعهم الأصيلة، فلم يكن يعاقب أو يعاتب إنسانا على طبع متجذر فيه لا يستطيع تغييره، وهى المعادلة الغائبة عن حياتنا إلا من قليل،

فكان يستخدم الرفق واللين والإفهام بالقول الحسن مع ذوى الطباع العصبية والغيرة العنيفة إدراكا منه عليه السلام أن هذا الصنف من الناس (وهم من نسميهم بالعصبيين اليوم ونعتبره عيبا) كان النبي عليه السلام مدركا أن عصبيتهم وشدتهم تلك إنما هى ترجمة الطبع الأصيل للغيرة عندما اختلطت بالدم العربي الممزوج بالأنفة والعزة ..

فكان النبي عليه السلام يقوم بتهذيب طباع أصحابها لكنه ما عاب هذا الطبع على أحدهم قط بل مدحه فى أكثر من موضع، ولعل أشهر مثالين لذلك هما الصحابيان الجليلان عمر بن الخطاب وسعد بن عبادة رضي الله عنهما ..

* كان عمر رضي الله عنه الذى سماه النبي عليه السلام (الفاروق) من ألين الصحابة قلبا وأشدهم عاطفة على الإطلاق

وهو الذى كان يهتز له الملوك كان من السهل أن تراه مهتزا أمام قول واحد من العوام أو حتى الأطفال،

كان عمر رضي الله عنه عصبي الطبع والمزاج فى غير إساءة، يوسع صدره جدا فى الأمور التى تقبل الأخذ والرد لكنه كان سيفا قاطعا فى الأمور المحسومة التى لا تقبل عنده جدل،

ولهذا ما كان الصحابة يخشون من عمر فى عصبية طباعه أبدا، بل كان مطمئنين لها،

وبالعكس تجدهم أشد ما يكونون حذرا عندما يلقونه هادئا فى معالجته لأمر ما،

وتفسير ذلك أنهم كانوا يستطيعون إقناعه بسهولة إذا ناقشهم بعصبية وحدة ظاهرة كما فعل معه مثلا الإمام علىّ فى إحدى قضاياه، وكما فعلت معه خولة بنت ثعلبة فى موضوع منعه المغالاة فى المهور فاقتنع بسهولة ورجع عن رأيه

لكنه عندما عالج موضوع شجرة الحديبية وكان هادئا فى قراره بقطعها ـ رغم قيمة الذكرى فى نفوس الصحابة ـ أمضي قراره بدون تردد لأنه كان متعلقا بالعقيدة ،

وكذلك فى موضوع إقالة خالد بن الوليد رضي الله عنه عن الجيش جاءه الصحابة يناقشونه، وكان هادئا أيضا وأمضي قراره بلا جدال لأنه رأى افتتان الناس بانتصارات خالد أدى إلى أنهم وقعوا فى الظن أنه لولا خالد لما كان للمسلمين انتصار، وهى كارثة طبعا

درس عميق وحكمة بالغة من هذه المشاهد تجعلنا ندرك معادلة مهمة فى حياتنا، وهى أن نخاف من الهادئ عندما يثور، ومن العصبي عندما يهدأ

* عندما يستبد بك الضيق، فاقرأ كيف كان الكبار يعالجونه ..

كان سيّدا شباب أهل الجنة عيسي ويحيي عليهما السلام أولاد خالة، وقد تسيدوا شباب الجنة مع الحسن والحسين رضي الله عنهما، وفق نص الحديث المشهور (الحسن والحسن سيدا شباب أهل الجنة، ما خلا عيسي ويحيي ..)

وكان عيسي رسولا نبيا، وكان يحيي نبيا صديقا، فكان مزاحهما تنبعث منه حكمة النبوة، فَمَر ذات يوم سيدنا عيسي بسيدنا يحيي فرآه مبتسما ضاحكا ..

فقال له عيسي : ما لى أراك مبتسما وكأنك قد ضمنت (بمعنى أنك ضمنت الجنة والنجاة)

فضحك يحيي وقال له : ومالى أراك عبوسا وكأنك قد آيست (بمعنى اليأس من رحمة الله والعياذ بالله)

وأوحى الله عز وجل إلى عيسي عليه السلام، أن ما قاله يحيي أقرب وأحب إلىّ مما قلت..

والمغزى أنه إن كان الضحك والسعادة المبالغ فيها ونسيان الآخرة أمر مرفوض للمؤمن، فاليأس والقنوط أشد رفضا لأن اليأس من رحمة الله كفر والعياذ بالله

وقد مر الإمام زين العابدين بن الحسين رضي الله عنه وعن آل بيت نبينا عليه الصلاة والسلام، مر برجل استند إلى جدار همومه، فعرج عليه قائلا :

يا هذا .. أيحدث فى كون الله ما لا يريد ..

فقال الرجل، حاشا لله وكلا يا إمام ..

فقال الحسين : فعلام الحزن إذا ؟! (كلمة ورد غطاها خلصت الموضوع)

وجاء رجل إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام، ففتح الله عليه بدعاء غير مسبوق ولا ملحوق، حيث قال :

(يا رب هذا حبيبك، وأنا عبدك، والشيطان عدوك، فإن غفرت لى فرح حبيبك ونجا عبدك وتكدر عدوك، وإن لم تغفر لى فرح عدوك وحزن حبيبك، وهلك عبدك،

يا رب إن كرام العرب قديما، كانوا إذا مات شريفهم وكبيرهم أعتقوا عبيده عند قبره إكراما له، وأنا عبدك عند قبر حبيبك وسيد الخلق فإعتقنى عند قبره)

قال بعض العلماء معلقا ..

إن هذا الدعاء العجيب هو فتح من الله لا شك، لأنه حتما دعاء مقبول، فإن الكريم من العرب إذا استمع لمثل هذا من صاحب حاجة، فلا شك أنه سيقضيها حرجا من صاحبها فكيف بأكرم الأكرمين ورب العالمين

وجاء أعرابي يقول لأحد أصحابه : يا أخى من الذى سيحاسبنا يوم القيامة ؟!

فقال له صاحبه : الله عز وجل ..

فقال الأعرابي مستبشرا : إذا نجونا ورب الكعبة، فإن الكريم لا يدقق فى الحساب ..

فهل رأيتم كيف يكون إيمان الفطرة،

وكيف أن الأعرابي فى مجتمعه كان مألوفا لديهم أن الكريم الأصيل لا يدقق فى حساب فى الديون إلا إذا كانت عليه للناس، وأما إن كان له ديون على الناس فهو يتناسي ويتغافل عنها أو يأخذها أقل من قيمتها ويعفو عن بقيتها ..

فكيف برب الناس صاحب خزائن الرحمة، من احتفظ عنده بتسعة وتسعين جزء من الرحمة، وأنزل جزء واحدا فحسب، فمن هذا الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الدابة رجلها عن وليدها خشية أن تصيبه كما قال النبي عليه الصلاة والسلام

واعلموا أن الله تعالى أرحم بنا من أنفسنا، لو أننا فهمنا معنى الرحمة على وجهها الصحيح، فإن التوكل على رحمة الله دون قصد استهانة بمقام وأوامر الله عز وجل هى حقيقة الإيمان، أما التواكل على الرحمة ونبذ أوامر الله وعصيانه عن تعمد سابق وعدم اكتراث، فهذا هو المهلك للعباد، عافنا الله وإياكم ..

متى يكون (العجز) و (التقليد)..
هو قمة الإبداع !

ملحوظة مهمة جدا ينبغي أن يعرفها المبدعون فى هذا العصر ..

فنحن نعلم بالتأكيد أن الإبداع له مفهوم بسيط وهو القدرة على تحقيق الإبتكار أو تحقيق شئ لا يستطيع أحد فعله أليس كذلك ؟!

ونعلم بالبديهة أيضا أن العجز عن فعل شئ هو علامة الضعف والتقيد علامة الإتباع لا الإبداع

هذا بالمنطق البسيط، لكن بالنظرة الأكثر عمقا سيتضح لنا أن هناك حالات معينة يكون فيها العجز هو (قمة القدرة)، و (التقليد) هو (قمة الإبداع)

أما قمة القدرة

بالعجز فتتضح فى حديث النبي عليه السلام عندما تحدث عن آخر الزمان فقال (يأتى على أمتى زمان يُـخير المرء فيه بين العجز والفجور)

ومعنى الحديث أنه سيأتى زمان ـ مثل زماننا اليوم ـ تنتهى الأخلاق والضمير تماما بحيث يكون العرف بين الناس هو القدرة

والعجز فقط بغض النظر عن مشروعية الفعل ..

وعندما يأتى المؤمن فتكون أمامه القدرة والفرصة لإرتكاب أبشع الموبقات فيمتنع عن ذلك، لا يصدق الناس أنه امتنع عن الفواحش بسبب ضميره بل يعايروه بأنه عاجز عن فعلها !

ومع استفزاز الناس، يجد المؤمنون أنفسهم فى ضغط شديد بين إثبات قدرتهم على الفحش وبين الصبر على المعايرة بالتقوى، فمن يصبر منهم ولا يخالف ضميره يكون هو القوى الأقدر فى زمانه وبالتالى تكون قمة القدرة أن تعجز عن الفعل مخافة الله

أما قمة الإبداع

فمن المعروف أن الذكاء والمكر من أندر وأقوى الصفات، والذى يمتلك تلك الصفات يستطيع الفوز على خصومه مهما كانت قوتهم، ومهما بلغ ضعفه، لأنه بمكره وعقله يستطيع استخدام قوة خصمه ضده بأبسط الخطط ..

ويكون الإستفزاز الحقيقي عندما يتعرض الإنسان العبقري لإستفزاز خصومه واستهانتهم به، فتدفعه نفسه دفعا لأن يحيل حياتهم جحيما لو أراد، لكن المؤمن من هؤلاء المبدعين يتذكر دوما آية واحدة من كتاب الله وهى قوله تعالى

[وَلَا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ] {فاطر:٤٣}

فيخاف ويتراجع، لكن خوف المبدع هنا يكون مبنيا على صحوة ضميره وخوفه أن يمكر به الله لو افترى على خصومه بقدراته، فيسكت ويصمت ويفضل احتمال أذى الخصوم على الفتك بهم ..

فمن فعل ذلك ونفعه إيمانه فى قهر غضبه يكون قد بلغ قمة الإبداع وهى ألا تبدع في المكر فيرده الله عليك

أما التقليد وكيف يكون من قمم الإبداع فى زماننا، فيعود هذا إلى أن زمن الفتن ينعدم فيه إتباع السنة المشرفة، وتصبح التقوى من الخرافات والنوادر، ويكون الفحش هو السائد وهو الحاكم للعالم، فالذى يستطيع أن يترك العرف من حوله ويلتزم بتقليد السابقين فى اتباع السنة ومحاسن الأخلاق، يكون تقليده هذا نفسه إبداعا متفردا، لأن هذا الإتباع لم يعد موجودا وبالتالى فهو ابتكار جديد رغم أنه قديم قدم الدهر

هل يمكن تحديد الحق بالـ (جى بي إس)؟!

أعتقد أنه لا يوجد مسلم عاقل عادى الآن لا يشعر بالحيرة والإضطراب فيما يراه من أمور تثير الذهول، بالذات أولئك الذين أدركوا آخر عربات قطار التربية السليمة قبل أن تبدأ موجة الإنحلال العارمة فى كسح كل القيم أمامها !

ومبعث الحيرة أن الشخص العادى لم يعد يعرف أين الحق من الباطل في أى قضية، ولم يعد يدرك الخط الفاصل بين أى حلال وحرام وهو يري شيوخا يفتون بكل حرام على أنه مطلق الحلال !

لهذا فكلامى موجه بالتحديد للشخص العادى غير المؤدلج وغير المسيس وغير التابع لأى شخص أو جماعة أو نظام،

الشخص الذي يريد أن يعرف الحق لذاته فعلا وليس لإشباع غرائزه أو الدفاع عن أنظمة أو مؤسسات أو جماعات ..

فما هى الطريقة المثلي لمعرفة الحق فى أى قضية وسط أمواج الفتن ..

من مِن هؤلاء المتكلمين والإعلاميين والسياسيين والمشايخ الذى يقول الحق فعلا ؟!

وجواب السؤال سهل جدا .. على عكس كل التوقعات ..

وهو موجود بنص الحديث النبوى الأصولى الذى رسم بدقة علامات عصور الفتن والواجب تجاهها وهو الحديث الذى سُئل فيه النبي عليه السلام عن تفرق المسلمين لآلاف الفرق بحيث يتصارعون كالديكة، أين يكون الحق ساعتها ؟!

فقال النبي عليه السلام (إن أدركت ذلك .. فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)

والمعنى شامل وجامع ..

ففي عصر الفتن أغلق عينيك وأذنيك عن كل ما يقال وإياك والتورط فى الدفاع أو الهجوم على أى فئة من الفئات المتصارعة، واستقم بتربيتك القديمة ومبادئك المغروسة سواء في الدين أو الأخلاق وأغلق عليك بابك وامنع الجدل، وعش لنفسك وأسرتك واسأل الله العفو والعافية ..

ولا أظن أحدا يخفي عليه ما أصبح عليه عالمنا اليوم ..

حيث انسحقت كل قيمة كان المجتمع يحرص عليها حتى تلك القيم التقليدية التى تمنع الفاجر من إعلان فجوره، والخائن من إعلان خيانته !

ولمن أراد الزيادة ..

فهناك ـ بلغة العصر ـ خط سير جى بي إس مضمون لمن خشي على نفسه وأراد أن يلقي الله على الحق، هذا الخط هو قراءة وتدبر أحاديث النبي عليه السلام فى باب الفتن وأشراط الساعة

ففي هذا الباب سيجد القارئ كل ما حدث وسيحدث مكتوبا منذ ألف وأربعمائة عام وبالدقة والتفاصيل أيضا

وأفضل كتاب تحدث وشرح هذه الأحاديث هو كتاب العلامة ابن كثير (النهاية فى الفتن والملاحم)

آخر إبداعات تجديد الخطاب الدينى

سمعت مؤخرا خبرا عن مجلس الشعب ولكنى تعاملت معه على أنه إشاعة مؤكدة ولكن اتضح انه خبر صحيح،

وهو أن وكيل وزارة التعليم أعلن في مجلس الشعب عن توجيهات رياسية بحذف آيات القرآن والأحاديث من منهج اللغة العربية والتاريخ وحصرها فقط في مادة الدين الإسلامى

ومعرفش ليه استثنى مادة الدين، ما كان حذف الآيات والأحاديث منها بالمرة !!

ولا داعى للرد على هؤلاء بالمنطق الدينى أصلا لكن تعالوا نكلمهم باللغة اللى يفهموها ..

* حذف الآيات والأحاديث معناه أن تعليمها فيه خطر، أو خطأ، وإلا فلا مبرر للحذف وبالتالي لماذا تقررها في منهج الدين ؟!

فالمفترض إما أن تظل في المنهج كله أو تحذفها من المنهج كله، أم يا ترى هناك خطة تمهيدية لإلغاء مادة الدين من الأساس وتنفيذ مقترح العضو النيابي بتدريس مادة جديدة عبارة عن كوكتيل من الإسلام واليهودية والمسيحية ؟!

* هذه الآيات التى حذفتها من مناهج الدراسة في التاريخ هل ستحذفها من تاريخ حرب أكتوبر وشهادات قياداتها عندما كانت القوات المسلحة تُعيّن إماما أزهريا مقيما مع كل كتيبة وكان رئيس الأركان الشاذلى هو الذى أعلن أننا انتصرنا في أكتوبر ب (الله أكبر)

بالإضافة إلى أننا نستخدم المصطلحات القرآنية والأحاديث فى وصف الشهداء بل إننا نعمل بهذه الأحاديث ونقوم بدفن بعض الشهداء بغير غسل بناء على وصيتهم وآخرهم البطل أحمد منسي، وكانت وصيته مطابقة لحديث نبوى شريف بأن الشهيد لا يغسل

فما هو الحل ؟!

والجيل الجديد الذي لن يتعلم قرآنا أو سنة كيف ستقنعه بمفهوم الشهادة أصلا عندما تطالب منه التضحية كجندي ومقاتل في سبيل الله والوطن

أم ستصبح الشهادة بمفهوم سبيل الوطن وحده وعندها لن يجرؤ أحد على القول بأن الشهادة مفهوم دينى وأن الشهادة لها جزاء عظيم في الآخرة، فالجيل الجديد لم يتعلم هذا بعد أن حذفت القرآن والأحاديث من المناهج

* عندما يكبر الجيل الجديد ويتخرج منه الضباط والقضاة والوزراء وكبار المسئولين، فيا ترى كيف ستكون صيغة القسم الرسمى لتولى المسئولية ؟!

والأهم من هذا كيف ستكون صيغة القسم للشهادة أمام القضاء، هل ستظل كما هي القسم على المصحف وباسم الله

لو قلت نعم فهذا مستحيل لأن القسم بالله والآيات القرآنية لن يكون لهم قيمة عند جيل لم يرهم أصلا وتعلم في المدارس أنه كلام إرهاب

وبالتالى يجب اختراع قسم جديد يناسب تعليم الجيل الجديد

* عندما تقرر الوزارة منهج الدين الجديد لماذا ستقتصر على الإسلام والمسيحية واليهودية أليس من حق الآخر ـ أيا كان ـ أن يدرس الدين الذى يحب وبالتالى على الوزارة أن تأتى لنا بمنهج للبوذية والهندوسية والبهائية ومنهج كفار قريش بالمرة، مش كل دول لهم منهج قبول الآخر ولا ايه، مجاتش على عبادة الأصنام يعنى

* وأخيرا نقترح محاكمة القادة الراحلين الكبار مثل الشاذلى الذين زرعوا الإرهاب ـ كما تقولون ـ لأنهم لم يتركوا المصحف ولا الصيام فى أشد أيام الحرب، ويجب على الجيل الجديد أن يتعلم نبذ التطرف وتجديد الخطاب الدينى

سياسة هنيدى والإعلام الحديدى !

هناك مشهد كوميدى شهير لمحمد هنيدى بقصر قامته وجسمه غير المتناسق حيث دخل مع خطيبته إلى صال جيم وكان فى الصالة عمالقة بعضلات ضخمة وأجساد هائلة متناسقة وجسمهم يلمع بزيت العضلات الشهير

فماذا فعل هنيدى كي ينقذ منظره أمام خطيبته ..

لم ينظر أبدا لعامل الخبرة عند هؤلاء اللاعبين ولا مؤهلاتهم ولا سنوات تدريبهم ولا عضلاتهم البارزة،

لقد نظر فقط إلى الزيت اللامع الذى يكسو أجسادهم !

وتخيل أنه عندما يأتى بزجاجة زيت طعام من زيت التموين ويدهن بها جسده سيصبح عملاقا منتفخ العضلات مثل منافسيه!!!

هذا بالضبط ما يحدث في الساحة الإعلامية الآن ومنذ عصر السادات !

فالسادات ومبارك ومن تلاهم كانوا يحسدون عصر عبد الناصر على إعلامه، وظنوا أن الفارق الوحيد بينهم وبين عبد الناصر أن الأخير وجد عمالقة إعلام أحسنوا الترويج لمشروعاته مما أكسبه الشعبية الساحقة !

وهذه مصيبة وجهل وقصر نظر لم أر له مثيلا في حياتى ..

فأقل خبير بالعقل الإعلامى، وأبسط صحفي متمرس يعلم تماما أن الإعلام لا يُنشئ لكنه يُروج لما هو موجود ..

بمعنى أن الإعلام دوره أن يغزل الترويج من خيوط غـَـزْل موجودة أساسا ..

ولهذا فالشعبية الكاملة لها شرطان متلازمان،

إعلام محترف يجيد الغزل والعمل والأهم، يؤمن بما يروج له ..

والشرط الثانى وجود خيوط الغزل كى يتمكن من العمل

فإعلام عبدالناصر كان به عمالقة دون شك على رأسهم هيكل ومحمد عودة ومحمود السعدنى وفتحى غانم وغيرهم من الفطاحل ..

لكنهم كانوا يملكون فى أيديهم مشروعات وتوجهات سياسية ذات شعبية عملاقة وصلت بالإنجاز إلى أصغر قروى فى أبعد قرية ..

وقد كان الإعلام فى عصر عبد الناصر مغلقا بالضبة والمفتاح قطعا، لكن المشروع الأساسي للدولة كان قائما على العدالة الإجتماعية فرأى الناس والشعب بعمومه مشروعات ووظائف وتعيينات وتعليم وصل إلى كافة فئات الشعب دون استثناء، مع وجود اقتصاد عملاق بدأ الصناعة تقريبا من الصفر ليدخل كافة المجالات، مع وجود ضوابط صارمة في الحد الأقصي للأجور بخمسة آلاف جنيه سنويا

ولهذا، ورغم أن عهد عبد الناصر كان عهدا مغلقا تماما إعلاميا إلا أن الإعلام بعصره نجح فى تكوين الشعبية بسهولة لأنه أوصل للناس ما يشعرون به فعلا ويمسكون به بأيديهم ..

لهذا تنتابنى هيستريا ضحك متصلة عندما أشاهد بعض الصحفيين ممن لبسوا البيجامة بعصر مبارك يتحدث وكأن الأزمة فقط فى الإعلام وأن الإعلام الحالى بلغ أقصي درجات الفشل والاستفزاز،

وهذا صحيح، لكن المشكلة الرئيسية ليست فى انعدام الموهبة الإعلامية بل في عدم وجود خيوط الغزل التى يعمل بها الخبراء

لهذا فالذين يبحثون بكل وسيلة عن دور في عته الإعلام عن طريق انتقاد أساليب عملهم هم أكثر فشلا من إعلام اليوم، لأنهم يؤمنون بخرافة اسمها قدرة الإعلام على الترويج لأى توجهات حتى لو كانت منعدمة الشعبية

وحقا يستحق هؤلاء أن نرثي لحالهم وقد تعبوا من رفع أيديهم حتى يراهم النظام فيمن عليهم ببرنامج أو مقال في صحيفة لا يقرؤها أحد !

القول الفصل في الحجاج الثقفي

على الرغم من أن الإهتمام بتاريخنا العريض أمر محورى وهام، إلا أن محبي قراءة التاريخ يقعون فى عدة أخطاء قاتلة بحسن نية، لعل أبرزها تساهلهم فى اللعن والسب والشتم وهى مصيبة كبري ..

فدراسة التاريخ والحكم على الشخصيات يجب أن ينضبط بأصوله وهى الحيادية فى الوصف والإلتزام بوصف الأفعال كأن نقول ظالم أو عادل، مستبد أو متقي . إلخ ذلك

أما ألفاظ السب واللعن فهى جريمة يرتكبها الإنسان فى حق نفسه وفى ميزان حسناته الذى قد يتآكل دون أن يدرى

أقول هذا بمناسبة السؤال الذى وردنى من صديقنا محمود فريد حول الحجاج بن يوسف أحد أعقد شخصيات تاريخنا وأكثرهم إثارة للجدل

والقول الفصل فيه أنه واحد من أشرس الحكام والولاة والوالى الوحيد ـ تقريبا ـ الذى اجتمعت فيه كل المتناقضات،

فمن ناحية العطاء فهو أحد الفاتحين الكبار ووصلت فتوحاته لأقاصي الصين، كما أنه كان عظيم الإهتمام بالقرآن واللغة العربية وإليه يرجع الفضل في فكرة تنقيط المصحف، حيث كلف الفقيه الكبير نصر بن عاصم بهذه المهمة وتمت فعلا

ومن ناحية الجرائم فأعظمها قتله لعبد الله بن الزبير في بداياته، ثم ختمها بقتل الإمام الكبير سعيد بن جبير

أما الحكم عليه تاريخيا، فيكفينا حكم أعظم شخصيات عصره على الإطلاق وهما عمر بن عبد العزيز والحسن البصري

وكانا من أشد الناقمين عليه والمتشددين فى وصفه بالظلم لأقصي مدى، ورغم هذا عندما علموا بكيفية موته وما حدث له، تغير موقفهم منه ..

والقصة أن الحجاج كان ظالما غشوما بالفعل، لكنه كان مؤمنا موحدا ولم يكن خائنا لأمته ولا صاحب بدعة، لهذا ختم الله بخير وتاب في آخر فى عمره

فقد مرض قبيل وفاته وضعفت قوته، وبينما هو على فراش المرض التف حوله الشامتون يشمتون فى ضعفه ويبشرونه بالنار وقالوا له : إن الله لن يغفر لك

وكانت هذه حماقة كبري منهم، لأنهم وقعوا فى المحظور الأكبر وهو (التألى على الله)

فاستغلها الحجاج وقال : يا رب اغفر لى، فإن هؤلاء الناس يزعمون أنك لن تفعل

وعندما سمع الحسن البصري القصة تعجب كثيرا وقال : لو نجا فستكون نجاته بهذه الكلمة

وعندما سمعها عمر بن عبد العزيز قال :

ما حسدت الحجاج إلا على شيئين، حبه للقرآن، ومقالته تلك يوم وفاته

ونهى كلاهما عن سب الحجاج فى مجلسهما وتركا أمره لله..

ويروى ابن كثير أن أحد الأئمة رآه فى رؤيا بعد موته فقال له: يا حجاج ما فعل الله بك

فقال : قتلنى بكل قتيل مرة، وبسعيد بن جبير ألف مرة، ثم غفر لى

من هنا يتضح لنا عدة نقاط محورية

* الأولى وهى النهى عن سب وشتم الظالم لأن هذا يسب في مصلحة الظالم نفسه، والأهم النهى المشدد عن الحديث في أمر مصيره يوم القيامة فهذا علمه عند الله

* الثانية وهى هامة جدا، أنه ليس معنى توبة الظالم أن الله عز وجل سيسقط حقوق المظلومين منه فحق المظلوم محفوظ يوم القيامة دون جدال ما لم يكن الظالم نفسه قد أدى حقوق من ظلمهم أداء كاملا في الدنيا قبل وفاته

فإن تاب الظالم قبل موته دون استيفاء الحق وفاه الله منه يوم القيامة وعوض المظلومين أضعافا وبعدها إن شاء غفر له أو إن شاء عذبه .. سبحانه وتعالى

* الملحوظة الثالثة : دراسة التاريخ ليس من أهدافها سب وشتم الشخصيات الراحلة، بل هدفها التقييم والعبرة، لهذا ينبغي الإلتزام عند الوصف بوصف الأفعال وعدم استخدام ألفاظ السب والتحقير واللعن

* الرابعة : اللعن كبيرة من أكبر الكبائر وأشدها أثرا، ومحرمة تحريما تاما إلا عن من ورد فيه نص صريح من القرآن والسنة وبغير هذا لا يجوز

الناس طلعت المريخ، وانتوا لسه بتقروا في البخارى !!

الجملة السابقة عبارة عن (أكلاشيه) محفوظ ومعروف من مجموعة العلمانيين ذوات الأربع، وقد اعتادوا من عقود طويلة أن يهاجموا أى ذكر أو دراسة للقرآن والسنة المشرفة تحت زعم

(الناس طلعت القمر، والناس طلعت المريخ !)

وحقيقة اعتدنا السكوت عن هذا العته والمرض النفسي المزمن الذى يصيبهم من أى ذكر لله أو الدين أو حتى الأخلاق !

لكن تعالوا لنرد على منطقهم الغريب بنفس المنطق من عدة نقاط، لنعلم من هو السبب فى تخلفنا، هل هو البخارى ومسلم أم كائنات العلمانية والتغريب

أولا : تصور معى أنك تتناول حلة محشي مفتخرة على الغذاء فيخرج عليك أحد المعاتيه ليقول لك

(الناس طلعت القمر وانت لسه بتاكل محشي، ايه التخلف ده)!

فما هو الرد المنطقي منك على هذا الكلام ؟!

طبعا ستقول لهذا المتخلف وما علاقة حبي للمحشي أو ضرورة تناولى لأكلات أحبها بالصعود للقمر والتقدم العلمى ؟!

بنفس المنطق دعنا نواجه هذا السؤال التقليدى ونوجهه لأنصار العلم ـ كما يزعمون ـ ما علاقة ضرورة وواجب دراسة القرآن والسنة بضرورة تقدمنا العلمى .!

إن الذى يريد أن ينتقد تخلفنا العلمى عليه أن يوجه الحديث بالنقد والنقض لتقصير أنظمة التعليم وضياع ميزانيات التعليم والصحة والبحث العلمى، وانهيار القيم العلمية وتسفيه التقدم العلمى عن طريق دعم نماذج مطربي المهرجانات والممثلين والراقصين ولاعبي كرة القدم .. الخ

فالتخلف العلمى أساسه انهيار التعليم وانعدام اهتمام الدولة به،

هذا فضلا على تقصير العلماء والمتخصصين أنفسهم، ولو تأملت العلمانيين المهاجمين للدين فى كل مناسبة وماذا قدمت العلمانية والتغريب لمصر منذ صعودها للحكم بدستور ١٩٢٣ ؟

والجواب صفر كبير،

فقد رأينا طبيبا فاشلا مثل خالد منتصر ومهندسا زراعيا أفشل منه اسمه فرج فودة لم يقدموا في مجالاتهم الأصلية أدنى عطاء يذكر وتفرغوا للنداء بحرية الشذوذ وحرية المسخرة

ثانيا : علوم الشريعة بفروعها المختلفة تقوم بدورها فى تعليم الناس وإرشادهم وبيان الحلال والحرام وهى وظيفة يقوم بها العلماء في مجالهم هذا،

ولم نر عالما من علماء الدين خرج فقال للدولة والمجتمع أن التقدم العلمى حرام أو أصدر فتوى تحرض الناس على ضياع

التعليم، ولم نر من الأزهر تصريحا يقول

(يعمل ايه التعليم فى وطن ضايع) !

بل يقوم علماء الدين بوظيفتهم المحددة، بينما يقصر كل من عداهم في وظائفهم وأولهم المنادين والمتدخلين فى علوم الشريعة وهم من غير أهلها،

وإلا فعلى هؤلاء أن يقدموا لنا تفسيرا عن قولهم بأن البخارى منع تقدمهم التكنولوجى ؟!

ثالثا : في الغرب حيث قبلة العلمانيين رأينا بايدن الرئيس الأمريكى يصطحب معه نسخة قديمة من الإنجيل ليقسم عليها القسم الرياسي فضلا على وجود سبع دول أوربية تتخذ في علمها شعارها الدينى وهو الصليب،

ولم نسمع تفسيرا من العلمانيين كيف لم يمنع الغرب مظاهر التدين ولم يغلق الكنائس ورغم هذا فهم متقدمون علميا وفى قمة التطور ؟!

وبالتالى فالعيب والأزمة ليست في الدين وعلمائه

رابعا : مجموعة العلمانيين ومن شايعهم لو أنهم حضروا بداية ظهور الإسلام، فسيجدون أن الرسالة الإسلامية ظهرت في مجتمع العرب المتخلف تقنيا بمراحل عن حضارة فارس والروم، وظل تخلف العرب قائما حتى تأسست دولة الإسلام فسادت على حضارات الأرض بتقدمها العلمى

والسؤال ..

لو أن العلمانيين حضروا بدايات ظهور الإسلام هل كانوا سيؤمنون بالله ورسوله عليه السلام ويتركون دين الفرس والروم رغم تخلف العرب وتقدم الغرب ؟!

المواطن العادى والمواطن السوبر

بمناسبة ألتوجه الإعلامى الذى يقول أن المعارضة المفيدة هى المعارضة التى تأتى من الإنسان الفاهم أو المتخصص بناء عليه ..

هل يا ترى قامة مثل محمد حسنين هيكل يعتبر من وجهة نظر الإعلام شخص فاهم سياسة بالذات وهو أكبر المتخصصين فى السياسة والإعلام وأكثرهم خبرة ؟!

وهل يعتبر الجنزورى أشهر رئيس حكومة فى عهد مبارك والذى تولى رياسة الوزراء مرة أخرى عقب ثورة يناير .. فاهم سياسة ..؟!

وما دام كلاهما كذلك،

فتعالوا نعرف رأيهم فى قضية تحديد النسل وقضية الدعم التى أذل بها مبارك الشعب طيلة ثلاثين عاما، ولا زالت لليوم حجة الإعلام

الملحوظة الأولى :

فى مقطع القصير من إحدى حلقات الشأن المصري الجارى يتحدث أستاذنا الراحل هيكل فى عام ٢٠٠٤ ردا على نظام مبارك الذى ظل يحكم البلاد بقانون الطوارئ ثلاثين عاما،

ويتحجج دوما أمام الشعب في كل مناسبة بحجتين فقط.. زيادة عدد السكان، وقلة الموارد..

والمقطع فيه رد جامع مانع يسحق الحجتين بالضربة القاضية .. عندما أثبت هيكل ـ من خلال وثائق وإصدارات الحكومة الرسمية من جهاز التعبئة والإحصاء ـ أن مصر دخلها تمويل مالى خارجى رهيب في عهد مبارك تجاوز ١٠٠ مليار دولار بخلاف التمويل الداخلى !

فكيف بعد هذا يتحجج نظام مبارك بنقص الموارد

ثم قال هيكل أن جهاز التعبئة والإحصاء أصدر عدة تقارير متوالية توضح أن عدد السكان فى مصر ـ بالنسبة للمعدل الطبيعي ـ لا يزيد أصلا بل يتناقص بنسبة ملحوظة، وأشار التقرير الرسمى إلى أن هذا الأمر تم بسبب كثرة الطلاق وتعسر ظروف المعيشة وارتفاع نسبة العنوسة

أى أن عدد السكان في مصر يزيد بمعدل أقل كثيرا من المفترض في الأحوال الطبيعية ؟!

ولاحظوا معى أن هيكل أبطل الحجتين على مبارك وكان مبارك نفسه يقدم الخدمات الحكومية بنظام ضريبي مصنف على أنه الأعلى فى العالم بالنسبة لحجم دخل المواطن !!

وجدير بالذكر أن النظام الضريبي الحالى يتفوق على نظام مبارك بنسبة واحد إلى مائة على الأقل وبالأرقام الرسمية

الملحوظة الثانية :

هيكل شرح مدى الفساد ونهب الأموال وتكوين طبقات ثروة هائلة من خلال عرضه لقيمة الأموال الداخلة لمصر خلال فترة

حكمه وكان يبلغ حجمها ١٠٠ مليار دولار فقط خلال ثلاثين عاما !

وجدير بالذكر أن الأرقام الرسمية الحالية قالت أن مصر دخلها ٤٥٠ مليار دولار فى ست سنوات فقط بخلاف حجم الضرائب الذى يمثل ثمانين فى المية من الموازنة تقريبا

لكن الغريب والعجيب أنه رغم هذه الأموال ورغم بدء الإصلاح الإقتصادى وتنفيذه كاملا إلا أن ديون مصر زادت بأربعة أمثال حجمها بعد الإصلاح !

الملحوظة الثالثة :

كمال الجنزورى بعد إسقاط مبارك ظهر مع منى الشاذلى لفضح يوسف بطرس غالى الذى اعتبره وزير الجباية وتأليف خرافة الدعم (هكذا قال الجنزورى) ..

ليه يا مولانا بتعتبر الدعم خرافة ..

فقال الجنزورى لأن بطرس غالى كان يضع في خانة دعم الوقود مبلغ ٤٠ مليار جنيه رغم أن هذا المبلغ لا تدفعه الحكومة ولا تتحمله الميزانية أصلا ولكن لعبة يوسف بطرس غالى كانت تتم عن طريق احتسابه سعر الغاز المصري المستخرج من الأرض المصرية بالسعر العالمى، ولأنه لا يبيعه للمواطن بالسعر العالمى بل بسعر أقل فاعتبر أن فارق المبلغ دعما تتحمله الدولة وظل يذل المواطن بدعم خرافي لا وجود له واقعا !

وجدير بالذكر أن الإصلاح الإقتصادى الحالى أزال تماما رقم الدعم (الخرافي أصلا) ولم يكتف بذلك بل باعه للمواطن أولا بالسعر العالمى

ثم تضاعف هذا السعر رغم انسحاق سعر الوقود ووجود فائض من انتاج الكهرباء تصدره الدولة للخارج بسعر أقل مما يأخذه المواطن نفسه !!

الملحوظة الرابعة :

تقول الحجج الرسمية أن الزيادة السكانية سبب العبئ على الدولة، ولكن لم يفصح المسئولون عن طبيعة الأعباء التى تتحملها الدولة بينما المواطن يدفع كافة خدمات الحكومة دون استثناء بسعرها العالمى منذ سنوات !

فمن أين تأتى الأعباء أصلا إذا كان المواطن لا يتحمل فقط خدماته الشخصية بل يتحمل أيضا مرتبات ونفقات حكومية أخرى مثل مرتبات ماسبيرو والصحف القومية الخاسرة عن طريق مبالغ مضافة على فاتورة الكهرباء وترخيص السيارات

فمن يا ترى تقصد الحكومة بالمواطن الذى يمثل عبئا عليها؟!

مؤكد أن هناك نوعية مواطنين ترعاهم الدولة بدعم خرافي ويمثلون عبئا صارخا وهم أولئك الذين سيسكنون المنتجعات والفنادق ذات النجوم السبعة والمواطنون من معاونى الحكومة فى الإعلام وأولئك القابعين على مواقع التواصل للدفاع عن الدولة

بخلاف المصروف الشخصي للحكومة نفسها طبعا

انتوا بس اللى مش فاهمين متاعب الحكومة ومسئولياتها !

الفارق بين (مواشي العرب)
و (مواشي الغرب)

نرجو التركيز والصبر في هذا المقال لأننا بحاجة لتصحيح خرافة كبيرة منتشرة بيننا

فالفارق اليوم بيننا وبين الغرب قضية ليست سهلة حتى تنحصر أسبابها فى مجرد التقدم العلمى والسياسي ..

ونبدأ بمثال يوضح القصة ..

فى وقت بدايات انتشار هوليود وأفلامها عالميا كانت أفلام (رعاة البقر) ومغامراتهم تحظى باهتمام عالمى باعتبارها أفلام مغامرات شيقة، وذات مرة أراد أحد المخرجين الأمريكيين تنفيذ الفيلم بواقعية كبيرة فطلب من المنتج عشرين ألف بقرة دفعة واحدة ..

ولم تكن المزارع فى تلك الفترة تحتوى هذا العدد الضخم بمقاييس تلك الأيام، لكن المخرج أصر وسأل المختصين فقالوا له أنه سيجد هذا العدد وأكبر منه لكن فى المكسيك

وبالفعل شد المنتج والمخرج الرحال للمكسيك وهم يتوقعون أنهم سيجمعون هذا العدد من عدد كبير من المزارع، فصادفوا

أول مزرعة مواشي في الطريق وطلبوا من صاحبها أن يعطيهم كل ما عنده ويدلهم على أماكن أخرى

فقال لهم المزارع : كم عدد رءوس الأبقار التى ترغبون فيها

قالوا : عشرين ألف رأس ..

فقال المزارع في بساطة : من أى لون تريدونها !!

أى أن مزرعة واحدة كانت ستعطيهم هذا الرقم وباللون الذين يرغبون فيه فما بالنا ببقية المزارع !

هذا بالضبط هو الفارق بين العرب ـ كشعب ـ وبين الغرب عموما ...

فنسبة الوعى الجمعى لدى الشعوب واستعدادها للتفوق عند توفر الأسباب، نسبة تعلو فيها الشعوب العربية بمراحل عن عوام الغرب بشكل عام

وهذا أيضا رغم أن الغرب يتفوق في نسبة الثقافة وعدد القراء تفوقا رهيبا علينا، هذا بالرغم من انتشار الجهل والأمية بين العرب لكن القياس هنا قياس كفاءة العقول وقدرة العوام على اكتشاف خداع السياسيين والسخرية منهم

فالشعب الغربي لديه استعداد رهيب لقبول أى دعاية إعلامية وتصديقها والإقتناع بها مهما كانت واضحة الخداع،

وبالعكس من هذا ..

فعوام العرب في معظمهم لا تنجح معهم حملات الإعلام فى تحسين صورة الحكام والسياسيين بل تزيد من تدهور شعبيتهم

أيضا، وتتمكن الشعوب بالسخرية من هدم أى مفعول إيجابي للإعلام مع تقديرنا طبعا للفارق الضخم بين إعلامنا وإعلامهم

لكن تفوق إعلامهم في تزييف الحقائق ـ إذا أرادوا ـ لا يعود لبراعة الإعلام بل لاضمحلال العقول ولهذا صدق ٨٠ فى المائة من الأمريكيين خدعة الحرب على الإرهاب التى احتلت بها أمريكا العراق، وصدقوا خدعة أسلحة الدمار الشامل، وصدقوا أن السياسة الأمريكية ترعي حقوق الإنسان، وصدقوا أن كلينتون استحق المحاكمة لكونه خالف الأخلاق

هذا رغم أن المتورطين فى هذه الجرائم من حكامهم اضطروا للإعتراف بالأهداف الحقيقية لحملة الإرهاب وهى بترول العراق ومع ذلك لم تتم محاكمة بوش وتونى بلير بعد اعترافهم بتلفيق أدلة الإتهام للعراق بينما حاكموا كلينتون على فستان مونيكا لوينسكى !

وعلى تويتر قالت إحدى الصحفيات الأمريكيات من صاحبات الشهرة تبرر نجاح ترامب في الإنتخابات نظرا لأن الأغبياء في أمريكا رقم رهيب، حتى أن ١٦ مليون أمريكى يظنون أن اللبن بالشيكولاته تنتجه الأبقار ذات اللون البنى !

فهل يمكن أن تتخيلوا هذا العدد الرهيب من الأمريكيين وسط هذا التقدم الفادح ومع ذلك يعتقدون أن لبن الشيكولاته إنتاج أبقار بنية اللون

مع أننا لو أخذنا مصر مثالا لنفس هذا الأمر، فقد كانت هناك مسرحية شهيرة لسماح أنور ألقت فيها هذه النكتة وكانت تمثل وقتها دور متخلفة عقليا !

الخلاصة ..

أن عدد الأغبياء والمواشي لدى الغرب أكبر من عدد المواشي لدينا بكثير،

لكن تفوقهم يعود إلى أن رعاة المواشي هم من يتولون مناصب الرعي عندهم، بينما عندنا تتولى المواشي منصب الراعي!

* زمن الفتن

هل تعلمون معنى كلمة (فتنة)، ولماذا ارتبطت فى الإسلام بكلمة (اعتزال)

رغم أهمية تحرير المصطلحات إلا أنه يندر منا الإهتمام بتحرير المصطلح ومعرفة حدوده وفحواه، رغم ما بهذا من مصيبة كبري، على الأقل فى مجال أحكام الشريعة بفروعها المختلفة، لأن إهمالنا لتحرير المصطلح غالبا ما يؤدى بنا إلى الجنوح فى حكم أشياء كثيرة فنقع بسببها فى كبائر ما كان أغنانا عنها،

الفتنة باختصار هى أمر شائك يحتار فيه المسلم فلا يدرى فيها الحق من الباطل، هنا وجب عليه اعتزالها ـ ليس اعتزال الخوض فيها فعليا ـ بل اعتزالها حتى بلسانه، فالمشارك باللسان كالمشارك بالسنان لا فارق بينهما فى الوزر ..

ولو أننا حقا نحترم أنفسنا ونحترم كلمة الله فى أحكامه، ولو طبقنا هذا الأمر وحده على أنفسنا فى شتى القضايا التى نبدى فيها الرأى لتوقفنا تقريبا عن ثلاثة أرباع ما نكتبه فى مواقع التواصل،

والفتنة بهذا الشكل كما شرحها العلماء تعنى أن المسلم كى يبدى رأيا ويجزم به وينشره بين الناس عليه أن يكون عالما بما يقول من وجهين، إما بدليل قاطع صريح لا يقبل التأويل، وإما على الأقل بقرائن ترقي فى مجموعها لمرتبة الدليل، بخلاف ذلك فإن الحديث ـ لا سيما فى الأمور التى تمس أعراض الناس ـ يعتبر أقرب طريق لجهنم عياذا بالله،

وهذه الحقيقة وحدها تجعلنا ندرك فداحة التسرع فى الأحكام تجاه أشياء لا ناقة لنا فيها ولا جمل تحت زعم التصريح بالرأى وحرية الرأى،

فحرية الرأى لن يمنعها عنك أحد بل إن السلطة فى أى زمن لو منعتها بقسوة الظلم فلن تمنع الإعتقاد بها والتصريح فى الخفاء، لكن الكارثة أن إبداء الرأى الجازم أصبحنا نجرؤ فيه جرأة من أتاه الله علم الكتاب !، والكارثة أننا نفعلها ولا نظن لها حسابا ! عادى يعنى !!

والأمر خلاف ذلك بالقطع، فالصحابة رضوان الله عليهم ـ وهم من هم فى الفقه وسداد الرأى ـ اعتزل أغلبيتهم الساحقة الفتنة الكبري، بل لم يكتفوا بذلك وإنما اعتزلوا حتى أخبارها، وكل هذا رغم أن الحق الأصرح كان مع الإمام على رضي الله عنه أما معاوية رضي الله عنه فكان له بعض الحق فقط،

ورغم هذا اعتزلوا، .. لماذا يا ترى ؟! [٤]

---

(٤) لمزيد حول الوقائع الصحيحة للفتنة الكبري يرجى مراجعة كتابنا (كيف ترد الشبهات بالحوار العقلي وحده)، الصادر عن دار (يسطرون) للنشر والتوزيع، ويتوفر نسخه إلكترونية منه على موقع صيد الفوائد وغيره

السبب أنهم لم يجدوا طرفا على الحق الكامل، وآخر على الباطل الكامل، بل وجدوا خليطا، فالإمام علىّ أصر على البيعة من معاوية أولا قبل الشروع فى محاسبة القتلة، ومعاوية أصر على حق ولى الدم أولا، قارنوا هذا الموقف بما يحدث لنا الآن فى القضايا العامة التى لا يمكن الجزم فيها بشيئ قاطع فى غياب تام للمعلومات وحتى القرائن، وهنا لا نقصد بالطبع أى قضية يكون فيها الظلم واضحا وفادحا، ولا نقصد أى قضية تتعلق بحق جازم من حقوق الشعب تجاه السلطة أو العكس، بل الكارثة فى المتشابهات، وقد أصبحت هواية رائجة هذه الأيام تقاذف التهم بين أهل الباطل وبعضهم البعض، وليس هذا بغريب،

لكن الكارثة فينا نحن، نحن البعيدون عن صراعاتهم والمتأملين، لماذا لا نتكلم بالعموم، وننأى بأنفسنا عن الخوض الصريح فى أمور ملتبسة يعلم الله وحده الظالم فيها من المظلوم، ونتجاهل حديث النبي عليه الصلاة والسلام الذى قضي بأن أربي الربا عند الله إستطالة المرء فى الأعراض (بالمناسبة الطعن فى الأعراض المنهى عنه ليس كما يظن البعض بأنه الطعن فى الشرف، الطعن فى العرض يشمل كافة السباب والتهم أيا كانت ما دامت غير حقيقية)

فإن لم يكن هذا هو زمن الإعتزال الإيجابي، فمتى يكون إذا؟!

* فى عنبر العقلاء ..!!

تصر مصر على مدى التاريخ أن تكون صاحبة الأعاجيب، لكن الأعجوبة الكبري فى نظرى أن شعبها دائما أبدا يثبت فى كل مرة أنه أذكى وأتقي وأكثر حكمة بمراحل من سائر حكامه وسياسييه ومفكريه ..

وسلاح النكتة فى يده سلاح قديم الأزل كما أثبت المؤرخون، ولهذا فهو الشعب الوحيد تقريبا فى العالم الذى ينفصل واقعه وطبيعته وعقله عن سائر الطبقة العليا (العليا بالظهور والسفلي بالعربدة)،

بمعنى أنه الشعب الوحيد الذى لا يعبر عن حقيقته إعلامه أو سياسة حكامه أو قول المتحكمين فى مصيره، وهذا منذ زمن ليس بالقليل، فلا الإعلام بفضائياته يعبر عن معتقد الشعب بل يعبر عن مصالحه وينشر ما يهمه، ولا وزارة الثقافة لها علاقة بثقافة المصريين أساسا بل هى مرتع منذ أكثر من أربعين عاما لمجموعة من مهاويس المعتقدات (يسار على شيوعية على علمانية على .....) ويطبعون ويكتبون لأنفسهم،

ولا السياسيين بالطبع ولا الصحافة لها علاقة إلا بمصالحهم ومصرهم التى يعيشون بها منعزلين عن أى أحد

بالطبع كان هناك استثناءات دائما حتى فى عصرنا هذا،
لكن الشاهد أن من يتأمل مصر فى إعلامها من الخارج يتخيل هذا الشعب مجموعة منتقاه من عنبر العقلاء بمستشفي العباسية !

وإلا كيف يمكن أن نفسر أن تقوم جرائد هامة، أقول صحف وجرائد هامة ـ ليست صفراء ـ وعليها مجموعة من أقدم ممارسي المهنة، ومعها مجموعة منتقاة من إعلاميين المفترض أن خبرة الواحد منهم لا تقل عن ربع قرن فى هذا المجال، ومع هذا بمجرد أن هلّت بشائر العام الجديد أفردوا الصفحات والتحقيقات والشاشات لمجموعة كبري من الدجالين كى يطلعوا الناس على آخر مستجدات قراءة طالع العام القادم !!

المصيبة أنهم أفردوا التحقيقات واللقاءات لهؤلاء الغوغاء وهم أساسا دجالين درجة رابعة، بمعنى أنه ليس لهم من خبرة النصب ما يمكن أن يخادع أو يلفت النظر,

ولكن مرت الأمور عادية وتعاملوا فعلا مع هؤلاء الشرذمة على أنهم حملة الغيب وكانت أكبر نكتة شاهدتها هذا العام لصحيفة تعتبر من نوادر الصحف الملتزمة وهى تطرح فى تحقيق كامل خلافا مدويا بين أهم قراء الطالع فى مصر عن قضية الدولار !

ومن يتأمل التحقيق ويرى المباراة الساخنة بين كل فريق من الدجالين لتأكيد وجهة نظره يجزم حتما بأن علامات الساعة الكبري لا شك قريبة إلى الحد الأقصي !!

يفعلون ذلك رغم أن هؤلاء المجانين أنفسهم هم من قادوا ويقودون حملة شعواء على كبار العلماء والمتخصصين إذا تناولوا

نصوص الأحاديث النبوية وتفسير آيات القرآن الكونية ويتهمونهم ـ للمفارقة ـ بالدجل لأنهم يعتمدون على القرآن والسنة، بينما هم يعتمدون على قراء الطالع وكتاب نوستراداموس أكبر كذاب فى عصر الظلام بأوربا !،

وأزيدكم من الشعر بيتا ..

كتاب (القرون) لنوستراداموس وكتاب (الجفر) الذى ينسبونه لإمام الأئمة على ابن أبي طالب هى كتب موضوعة وملفقة بالكامل،

فكتاب (القرون) نفسه لا توجد منه صفحة واحدة كتبها الدجال بنفسه (يعنى حتى كتابات الدجال الأصلي مزورة) والسبب فى ذلك أن سائر نسخ الكتاب تم تزويرها إبان الحرب العالمية الثانية على يد جوبلز وزير إعلام هتلر فوضع فيها نبوءات بالمئات تتنبأ بفوز هتلر،

وعندما رأى الحلفاء تأثير هذه النسخ قاموا بدورهم بكتابة نسخ أخرى ملفقة بها تبشيرات بنهاية هتلر وهزيمته !!، ورغم هذا أفرد مفكرون كبار ـ نحترمهم ـ لهذا العته مقالات ودراسات،

أما ما يسمى بكتاب الجفر فهى أحد تلفيقات الشيعة المشهورة جدا، فلهم باع هائل فى تزوير وتلفيق الكتب ونسبتها لأئمة أهل البيت، ومنها هذا الكتاب الذى تم تأليفه بعد قرابة ٥٠٠ سنة من وفاة الإمام، ويضاف إليه أيضا كتاب ذائع الصيت وهو كتاب (نهج البلاغة)، وهو ليس من تأليف الإمام على أيضا ولا يوجد إسناد له أساسا، بمعنى أن الكتاب كتبه مؤلفه

الشريف الرضي ولم يكلف نفسه تلفيق إسناد له ولو على سبيل التزوير ورغم هذا تتم طباعة هذه الكتب وتتخذ أساسا عند من يرفضون قال الله وقال الرسول عليه السلام وبأحق الأسانيد صدقا وإتباعا !

رحم الله مفكرنا العبقري مصطفي محمود عندما سماه عصر الجنون

* عز الدنيا، وشرف الآخرة ..

لو أننا تساءلنا عن أعجب مزيج يضمن للإنسان الراحة حيث لا راحة فى دنيا، فسنجد كثيرا من الأفعال ولكن لا يعلو فعل على ما يجمعه للإنسان المؤمن إخلاص كلمة (التوحيد) لربه جل وعلا، وتفانيه فى مراتب الإيمان حتى تصبح (لا إله إلا الله) أشبه بمحرك القلب يضخ الحياة للجسم بلا فتور ولا ملل،،

وهنا من الطبيعى أن نستغرب هذا لأن شهادة التوحيد هى القاسم المشترك بين سائر المسلمين، فأين التميز هنا ؟!،

والتميز هنا هو الانتقال عبر مراتب الإيمان من القول والشهادة باللسان إلى القول بالقلب اعتقادا ويقينا ووصولا إلى كافة الجوارح حيث ترددها كل جارحة من جوارح المؤمن والأهم أنه ينفذ مقتضي التوحيد فى كافة شئون حياته عظيمها وهيّـنها فيستكثر المعونة على غير الله فى كل شيء، ويراها من الله وحده

وبالطبع هذه مرتبها وصلها الرسل والأنبياء ثم صحابة كل نبي والمؤمنون العاملون من بعده عليهم جميعا السلام، وكان تطبيقهم يثير الدهشة والعجب حيث وصل بهم الإيمان إلى النظر نحو متع الدنيا ـ ولو كانت مباحة ـ كما ينظر أحدنا بالضبط إلى المرض والموت !

وهناك موقفان لا يمكن أن ينساهما قارئ اطلع عليهما، لأنهما موقفان فيهما من التطبيق المباشر لهذا المبدأ ما يغنى عن غيرهما،

الأول كان لإمام الموحدين إبراهيم أبي الأنبياء عليه وعلى نبينا وسائر الرسل أفضل الصلاة والسلام، فقد جاءت قصة إبراهيم عليه السلام فى موقف إلقائه فى النار وفيها لغز يحير ويلفت النظر ألا وهو أن الله عز وجل تدخل بقدرته العلية ـ دون واسطة من ملائكته ـ فغيّر لإبراهيم طبيعة النار وجعلها بردا وسلاما،

وهذا يلفت النظر لأن هذا التدخل المباشر تشريف كبير وعظيم وكانت العادة أن يأمر الله ملائكته فينقذوا أنبياءه ورسله بما لهم من قدرة الأسباب إلا إبراهيم عليه السلام ما أمر الله ملائكة الرياح ولا الجبال ولا غيرهم بإنقاذ إبراهيم بألف وسيلة ووسيلة،

والسبب ـ كما فسره بعض كبار المفسرين ـ يعود لموقف إبراهيم عليه السلام نفسه وهو فى رحلته نحو النار عرض له جبريل فى السماء، فقال له : يا إبراهيم ألك حاجة ؟!!

فكان رد إبراهيم من أعجب ما يكون حيث قال : أما إليك .. فلا

فكان الجزاء الإلهى على هذا التوحيد المتفرد أن أنقذه ربه بكلمته ويده وأبطل له أسباب النار وغيّر خلقها لأجله، ثم أتم نعمته فجعل له لسان صدق فى الآخرين لا زال ذكره حتى اليوم وإلى يوم الدين هو عنوان صلاتنا ..

والموقف الثانى لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وهو من هو، جاءته فتوح فارس بانتصارات هائلة وغنائم باذخة، فجعل يقلب هذه الكنوز التى أورثها الله لهم وأباحها لأمة الإسلام غنيمة أعدائهم، وقال :

إن قوما أدوا كل هذا لأمناء حقا،

ثم أخذته لحظة تأثر وهو يري مقدار هذا الفتح الجزيل ومضي يستغفر ربه ويناجيه قائلا : اللهم إنك قد آتيتنى ما لم تعطه نبيك عليه الصلاة والسلام ولا خليفته أبا بكر، فأعوذ بك أن تكون قد أعطيتنى هذا لتمكر بي (يقصد الإستعاذة أن تكون هذه النعمة هى فتنة إختبار له تورده موارد التهلكة إذا تبعها العجب والرياء أو عدم مراعاة الشكر عليها) !

عمر رضي الله عنه يقول هذا وهو ثانى أكبر رأس فى الصحابة ومعه تصريح دبلوماسي ربانى بدخول أعلى الجنات، ورغم هذا وصل إيمانه وحمده وتقواه إلى مبلغ الخشية التى خاف فيها ألا يؤدى حق نعمته، ثم زاد على هذا وهو فى فراش الموت فقال للصحابة أنه يرضيه أن يخرج يوم القيامة كفافا لا وزر ولا أجر، مخافة منه ليوم الحساب وهو ولى أمر المسلمين،

هؤلاء هم الأولياء حقا، ممن تواضعوا لله فرفعهم، فما بالنا اتخذنا أولياء من بعدهم نسبوا إليهم أقوالا ما جرؤ الرسل الأنبياء عليهم السلام على قولها أو إدعائها لأنفسهم، فسبحان الله

كيف تكون (مواطنا شريفا) فى العالم العربي !

هذا دليل مختصر فى نقطتين لأهم المبادئ التى تحتاجها عزيزى القارئ حتى تصبح مواطنا شريفا فى العالم العربي اليوم .. حتى لا تقع في جناية مخالفة مبادئ الوطنية وأنت لا تدرى، وهذه المبادئ صالحة لأى بلد عربي، فأيا كانت جنسيتك التزم بهذه النصائح وستضمن بعدها أن تكون مواطنا صالحا تفرح به الدولة والحكومة والشعب .. وتفرح بيه الست والدته كمان !

أولا : عليك فى البداية أن تحدد هوى السلطة أولا، والهوى المقصود هو طبيعة الشئ الذى تتاجر به السلطة فى بلدك على الناس، فالعالم العربي تحكمه أنظمة تتاجر بأمرين فقط لا غير إما تتاجر بالدين، أو تتاجر بالوطنية،

فلو كانت تتاجر بالدين عليك فورا أن تحفظ كافة آيات طاعة أولى الأمر وكافة الأحاديث التى تكفر بها كل شخص يجرؤ على السؤال عن العدل أو المساواة أو أي شئ من هذه الخرافات، وبالطبع عليك أن تمتنع تماما عن ذكر آيات العدل وأحاديث الرحمة والأمانة والمسئولية وعدالة توزيع الثروة وحق المواطن فى بلده وكل شئ من هذا النوع

أما إن كانت تتاجر بالوطنية فعليك أن تحفظ اسم بلدك وقياداتك وتعاملها معاملة المعصوم الذى لا يخطئ قط، وتتهم كل من ينادى بالعدل أو المساواة .. الخ تتهمه بالخيانة وموالاة أعداء الوطن والتآمر على الدولة

وعليك أن تفهم أن الوطنية فى بلدك ليس معناها الإنتماء للبلد أو الشعب (متبقاش حمار بقي) الوطنية معناها الإنتماء التاام للنظام فهو وحده الوطنى وباقي الشعب كلهم خونة إلا أنت وباقي المعـ.. المواطنين الشرفاء يعنى

ثانيا : اياك ثم إياك أن تدافع عن النظام بالمنطق أو العقل (انت كده بتودى نظامك فى داهية) فلابد أن تتعلم أصول الدفاع، وهو رمى المنطق في أقرب مزبلة والتعامل بالجنون المطبق

(أيوة متستغربش .. تعامل بالجنون)

بمعنى أنه عند أى مصيبة أو كارثة يتسبب بها النظام، لا تحاول أن تجد طريقة للدفاع بالمنطق لأنك لن تجد طبعا، ولكن دافع بالأسلوب المضمون ..

مثلا تنشر بوست تقول فيه أن مؤامرات دول العالم لن تتوقف، وأن هذه المصيبة ـ وتحط اسم المصيبة اللى حصلت ـ حدثت بسبب مؤامرة مدروسة لتشويه الإنجازات

ولو كانت الطريقة دى واسعة حبتين، أو المصيبة أنيل من كده، فدافع بطريقة تانى مضمونة وزى الفل وتنفع في كل كارثة..

وهى إنك تروح على جوجل فتعمل سيرش على مصيبة زيها حصلت فى أوربا أو أمريكا ولو ملقتش دور فى بلاد الواق الواق،

وتكتب البوست تقول فيه إن ما حدث هو أمر عادى ويحدث في كل بلاد الدنيا، ولازم تقفوا جنب بلدكم وتبطلوا اشاعات

(وطبعا متنساش تقفل التعليقات على البوست بتاعك ده بدل متلاقي التعليقات بتلعن فى اللى خلفوك)

* لماذا سقطوا ونهضوا ألف مرة، ولماذا لا ننهض نحن ؟!

يقول المفكرون ـ وهم على حق ـ أن قارئ التاريخ المتعمق فيه لا يصيبه اليأس، ولا تصيبه الدهشة أيضا،

والسبب بلا شك واضح، فإن ما يجرى بعصرنا لا يخرج عن إطار التكرار اللازم والمعهود فى القاعدة التاريخية، ولهذا لا يشعر قارئ التاريخ باليأس لأن هناك فى التاريخ مواقف ميئوس منها أكبر مما يحدث، وكذلك لا يشعر بالدهشة لأنه مهما حدث من الموبقات الآن فلها سابقات أبشع وأضل

ولو أننا راجعنا ما نحن فيه ـ كأمة عربية وإسلامية ـ سنجد فى سابق تاريخنا لحظات كنا فيها أكثر ضعفا وهوانا بمراحل مما يحدث اليوم، ورغم هذا، فالأزمان السابقة علينا خير من زمننا وأفضل بمراحل !

ولتفسير هذا التناقض معادلة بسيطة

فأمة الإسلام منذ انهيار الخلافة الموحدة وهى تتعرض للضربات الصاعقة ضربة تلو الأخرى وحدثت في الأمة أهوال أكبر مما نعانيه، فقد تم احتلال القدس على يد الصليبيين وبقوا فيه دهرا طويلا،

وكذلك هوجمت أرض مكة والحرم الشريف ـ وهو أعز من القدس ـ عدة مرات، كان أشنعها هجمة الشيعة القرامطة التى استلبوا فيها الحجر الأسود وذهبوا به لعاصمتهم (هجر) قرابة سبعين عاما، وقتلوا الحجيج ودفنوهم فى بئر زمزم قبل أن تتجرد الخلافة لقتالهم وردعهم، وكذلك قام أرناط الصليبي بمهاجمة طريق الحج وكان ـ لعنه الله ـ ينوى نبش المدينة وقبورها، فجاء صلاح الدين وجمع فُـرقة الأمة وخلصها من الشيعة العبيدية فى مصر وكذلك من الصليبيين وعادت الخلافة العباسية من مقرها فى مصر من جديد ثم تتابعت الدول القوية واختمت بالخلافة العثمانية التى أنهت الخطر الصليبي تماما فى عهدها وأخضعت أوربا

وإن كان على الخيانة والإرهاب ..

فالخوارج والشيعة بمختلف فرقهم ما تركوا عدوا للأمة إلا وناصروه، وما سنحت لهم فرصة لسفك دماء المسلمين إلا واستغلوها، ومع هذا تم ردعهم فى كل مرة لم ينالوا خيرا

وقد تعرضت الأمة لخيانة عدد من قوادها وأمرائها استعانوا بالصليبيين على دعم حكمهم فى مصر والشام حتى ردهم المُخلصون من الحكام، ولم يستقم الأمر فى الحكم لخائن أبدا

نخلص من ذلك أن الأمة ـ لا سيما العرب ـ مروا بأسوأ من هذا العهد الذى نحن فيه، ولكنهم فى كل مرة يتعرضوا لمحنة هائلة قاسية وقاصمة، كانت كلمتهم تتجمع مرة أخرى ـ مهما طال الزمن ـ وتعود قوة المنطقة لسابق عهدها فما السر يا

ترى الذى يكمن فى أن سقوط العرب مع نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كانت سقطة لم تنهض الأمة بعدها أبدا، اللهم إلا فى فترات معينة اجتمعت وتجمعت ولكنها ما تكاد تستيقظ حتى ينفذ الغرب إليها ويقضي على تلك الصحوة تماما فتعود لنفس التبعية السابقة ؟!

لقد تغلبنا على الغرب حتى ونحن فى أسوأ حالاتنا العسكرية والإقتصادية والتكنولوجية، وما نجحت غزواتهم العسكرية والفكرية فى قتل الهمم لمدة تربو على ١٢ قرنا كاملة، فلماذا كان الإنهيار الأخير انهيارا عاصفا ومستمرا، ولا يمر عهد إلا والأمور إلى أسوأ ..

لو فتشنا وأرهقنا أنفسنا في البحث فلن نجد أبدا فارقا جوهريا بيننا وبين عهود السابقين إلا فارق واحد، ولكنه كاف تماما لكى لا نستطيع تقليدهم بالنهوض مرة بعد مرة ..

ففي السابق كانت الأمة تنتخب نخبتها على كافة المستويات القيادية والعسكرية والعلمية، ولا ينضم لتلك النخبة إلا من كان أهلا لها،

وكل هذا دون انتخابات أو أى وسيلة إلا وسيلة واحدة وهى الوعى المجتمعى الذى لم يكن يُعلى ما يعلو به علمه وعمله وإخلاصه، وما كان العوام يلتفون حول عالم أو فقيه أو مفكر إلا وهو يستحق مكانته تماما، وكانوا إذا تعرضوا لبطش الحكام ابتدروا قادة الفكر فقادوهم، ولا يذكر لنا التاريخ عالما واحدا أو مفكرا واحدا حاز القبول العام بين الناس، إلا وكان أهلا له،

فتلك المكانة لم يستطع غير المخلصين أن يشغلوها لا بمال ولا سلطان، وقد تهاوت أسماء كانت رموزا من علماء السلاطين وقمم علمية كبري ولكن انسحق دورهم وتاريخهم ورفع الناس والتاريخ أهل الصفوة ولو كانوا فى سجون ومعتقلات المحتلين أو الظالمين ..

أما الآن ..

فالمشهد لا يحتاج شرحا، فقد تحققت نبوءة النبي عليه الصلاة والسلام بقبض العلم عن طريق قبض العلماء، ومن كان يستحق مكانته حقا اعتزل الناس لأن غياب مقاييس الفكر والرأى والعلم قد انتهت وصعد من صعد بجهله ومصالحه ونفاقه، حتى أصبح الحال كما ترون

* الحكمة من وراء وجود خلافة عمر بن عبد العزيز فى منتصف العهد الأموى

نتساهل كثيرا فى فهم طبيعة حساب يوم القيامة، فهو حساب عسير ليس لأنه الحساب المصيري وحسب، بل مصيبته وعسره الأقوى أنه لا يترك شيئا، لن يترك مثقال ذرة من عمل وإلا يتم السؤال فيه وعنه ولهذا قال العلماء أن أعظم آيات القرآن ردعا هى قوله تعالى

[فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ]

هل تدركون ما معنى هذا، لقد صعقت هذه الآية أهل العلم لما فهموا منها وأن الحساب سيكون حتى على احتكاك ثوبك بثوب غيرك فى الدنيا، ستجد أمامك فى ورقة امتحانك سؤالا عن هذا لماذا فعلته، ولماذا لم تعتذر منه !

والله المستعان، .. فلولا رحمة سبقت منه ما نجا واحد من أهل الأرض،

ودوما ما كان يدهشنى أن يوجد مثل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ويأتى زمانه فى منتصف زمان شاع فيه الظلم واندرست فيه سنة الراشدين (طبعا بالمقارنة لزماننا هذا يعتبر زمن الأمويين من أزمنة الملائكة)

ما علينا ..

جاء عمر فى زمان تم اتخاذ الحكم فيه بالجبرية والوراثة، وتم التساهل فى الظلم والدماء والأموال، وبالذات فى الأموال، فتعامل الخلفاء مع بيوت المال على أنهم المتحكمون، وبالطبع ما كان هناك خليفة يتخذ المال لأهوائه كاملا كما هو الحال اليوم ولكن كانت سياسة الأموال والرواتب والعطايا فيها من الظلم الكثير،

وقد قيل فى زمن عمر بن عبد العزيز أن زمن عمر بن الخطاب وزمن الراشدين كان راشدا بسبب وجود الخير فى الصحابة والتابعين، أما وقد فسدت الناس وأخلاقهم فمحال أن يستطيع خليفة أن يسير فى الناس بسيرة عمر وإلا فسد الحكم وفسدت الخلافة !

هكذا قالوا له عندما كان شابا، فلم يجادل لأنه ما وضع الحكم برأسه قط، ويمر الزمن ويُبايع بالخلافة،

ومنذ اليوم الأول وقبل حتى أن يستوى على الحكم ويهدأ خاطره، جاء بوزيره الأمين رجاء بن حيوة وفى ليلة واحدة قام بعزل كل ظالم من الولاة، ورد المظالم كلها فى عاصمته وكتب للولاة الجدد بمثل هذا، وقام برد كافة أمواله وأموال الإقطاعيين فى عهده لبيت المال ما أبقي منها شيئ، ولم يحبس فى السجون أحدا قط إلا من كان مرتكبا لحد من حدود الله ومعه البينة والشهود، وبالذات فى حد السرقة، وأطلق من اتهموا بالسرقة إن كانت تهمتهم السرقة لحاجة الجوع وعدم الكسب،

وما هى إلا فترة وجيزة حتى شاع العدل والنظام العمرى الراشد فى مجتمع الخلافة بأكملها وكأنما عاد الزمن كاملا لعصر الراشدين !

حتى الخوارج والفرق المارقة سافكة الدم التى كان كافة الولاة مقتنعون بأن هؤلاء ليس لهم إلا الشدة والحزم والإفناء، أجبرتهم سياسة عمر بن عبد العزيز على التوقف مدهوشين حتى قالوا :

(ما ينبغي لنا مقاتلة هذا الرجل)

وكان فى عهد سابقيه قد انتشرت السرقات والنهب من المال العام على يد أمناء الخزائن وكان يصعب ويستحيل إقامة الأدلة على هؤلاء لأنهم لم يكونوا يتصرفون إلا بأمر الولاة الناهبين، فأرسل بعض الولاة لعمر يستأذنون فى استخدام الشدة والتعذيب البدنى ليُـقروا بجرائمهم، فما كان من عمر إلا أن عَنّـف الولاة بأشد الكلام وقال قولته المشهورة :

(من أقيمت عليه الحجة والبينة فخذوه بها، ومن أقر بما ارتكب فخذوه بإقراره، ومن لم يفعل منهم فاستحلفوه بيمين الله ثم أطلقوا سبيلهم، فوالله لئن يلقوا الله بخيانتهم أحب إلىّ من أن ألقاه بدمائهم)

ثم اتبع منهجه القويم منهج جده عمر بن الخطاب فى معاقبة الظلمة، فلم يترك واليا اغتنى بمال الولاية إلا وصادر كافة ما يمتلكه الوالى وترك له فقط ما ثبت له من مال قبل توليه ولايته، ولم يترك واليا جار فى حكمه بظلم الناس بحبس أو قيد أو قتل إلا وفعل به مثلما كان يفعل بالناس،

وهكذا ..

وبتوفيق الله لإمام الهدى عمر بن عبد العزيز أقام الحجة على سائر الحكام والولاة ممن سبقوه وممن لحقوه، وبالعدل .. بالعدل وحده لم يترك ظالما أو مظلمة، واكتظت بيوت الأموال بفائض ما فيها واغتنى الناس من فضل الله حتى لم يعد هناك محتاج أو غارم أو شخص واحد تجوز عليه الصدقة فى كافة أرجاء الخلافة،

ورغم كل هذا ما زاد عمر بن عبد العزيز درهما واحدا ولا أخذ درهما لنفسه حتى كراتب مستحق باعتباره الخليفة ولا قام بتوسعة نفقة الولاة ولا رواتبهم ولا حتى نفقات الحكم من أوراق وشموع وأقلام وجعل تلك المصروفات فى أضيق الحدود رغم الغنى الباذخ التى تمتعت به الدولة فى عهده، وكان من بركاته الغريبة والعجيبة حقا أن أشرس أعداء الناس والدولة لم يستطيعوا أن يكرهوه، وما استطاعوا إلا أن يحبوه ويجلوه، حتى الخوارج وحتى قطاع الطرق، ووصل الأمر حتى لإمبراطور الروم، وإمبراطور الروم قال فى عمر قولا يستحق أن نكتبه بماء الذهب وما كان يسميه إلا بالرجل الصالح وحزن يوم وفاته حزنا أثار استغراب سائر مملكته،

وليس هذا بعجيب لأن عمر بن عبد العزيز استدعى جيش الخلافة الذى حاصر القسطنطينية لأكثر من عام فى عهد سليمان، وكادت القسطنطينية أن تسلم وتفتح أبوابها بعد نفاذ سائر المؤن و فإذا بعمر يكتب لمسلمة بن عبد الملك ليفك الحصار ويرجع حتى لا يهلك الروم داخل بلادهم ..

هذا هو ما يفعله العدل، العدل الذى كان أسسه سيد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام فحول به مجتمع الجاهلية لمجتمع النور بهدى الله ونوره، وهذا هو العدل الذى سادت به خلافة الراشدين ثم خلافة عمر بن عبد العزيز فصاروا حجة لله على عباده إلى يوم الدين لكى لا يأتى بعدهم من يحتج بفساد الناس والمجتمع لتبرير الظلم والعدوان !

* كيف نجمع بين الأمر والنهى فى حديثي مكافأة المعروف ؟

حض النبي عليه الصلاة والسلام على مكافأة أصحاب المعروف فقال ـ فيما معناه ـ : من أدى إليكم معروفا فكافئوه، وإلا فادعوا له

ولكن ورد حديث آخر يقول فيه النبي عليه الصلاة والسلام ـ فيما معناه ـ من شفع لأخيه شفاعة ثم أهدى له هدية فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا ..

فهذا الحديث يُشْكل على البعض الأمر والنهى فى ذات الموضوع، ولكن الحديثان لا يناقشان موضوعا واحدا أبدا ـ كما هو ظاهر منهما ـ بل يتحدث كل حديث بقاعدة موضوعا بعينه، وهذا يتضح فيما يلي :

أولا : الحديث العام هو القاعدة العامة لأداء المعروف،

وبالتالى طالما أنه القاعدة العامة التى يحض فيها النبي عليه الصلاة والسلام على مكافأة صاحب المعروف ما استطعنا، ولو بالدعاء، فهى قاعدة عمومية لا شك أن لها استثناء بنص خاص، والنص الخاص هنا هو نص الحديث الثانى الذى يتعرض لنوع محدد ومعين من أنواع المعروف وهو الخدمات التى يقوم بها أصحاب الجاه والنفوذ والقوة لمن ليس لهم نصيب من الجاه،

فيعاونوا إخوانهم بقوة نفوذهم المعنى على استرداد حق أو دفع مظلمة أو جلب منفعة، ففي هذه الحالة يعتبر هذا المعروف بعينه وحده حالة خاصة حرم فيها النبي عليه الصلاة والسلام قبول الهدية لقاء الفعل،

وبالطبع يكون النص الخاص هنا مقيدا بحالته فقط ولا يتم توسعته على غيره، وبذلك يكون النص العام يشمل كل الخدمات وأنواع المعروف التى يؤديها الناس لإخوانهم المكافئين لهم فى المكانة الإجتماعية ..

ثانيا : حكمة التحريم الشديد هنا وجعل الهدية على معروف صاحب النفوذ كأنها باب من أعظم الربا، له ما يبرره، لأن الجاه والنفوذ والسلطة المعنوية هى نعمة خاصة يؤتيها الله من شاء، وكعادة كل نعمة ينعمها الله على العبد فلا شك أن لهذه النعمة زكاة واجبة،

والزكاة بطبيعتها فرض مفروض أى أنها واجب على من يؤديه إن أداها فلا يستحق الشكر وإن قصّر فيستحق العقاب، وزكاة النفوذ والوجاهة الإجتماعية هى بذل هذا النفوذ فى خدمة أفراد الناس وتقوية موقفهم طالما كان فى أمر مشروع، وعليه فهى لازمة تشريعية من لوازم تلك النعمة فلا ينبغي لمن قام بها قبول الهدية التى تجوز لغيره، وإلا صارت أشبه بالرشوة بل أشد،

فالتصدى لخدمة الضعفاء وأنت لا تتميز عليهم بشيء من الوجاهة تعتبر هنا فى مقام الصدقة والنوافل،

أما التصدى لخدمة من هم أقل منك جاها فهى هنا بمقام الزكاة والفرض وشتان ما بينهما، فصاحب الصدقة هو صاحب فضل بينما صاحب الزكاة هو مؤد لواجب

ثالثا : قبول الهدية فى هذا المقام سيجعل المجتمع ـ كما نرى اليوم طبعا ـ فى حالة من انتشار الفساد العظيم لأن سعى الناس للوجاهة والمناصب سيكون قائما على ما يتحصلون منه من مقابل ورشاوى مقنعة أو حتى صريحة تلقاء خدمات هى فى الأصل فرض واجب، مما يعنى ببساطة تفويت الفرصة على من يستحق الخدمة فعليا، وفتح الباب على مصراعيه لاستغلال جاه أصحاب النفوذ لسلب الحقوق والنهب المنظم، لأن صاحب الجاه إذا فتح الباب بمقابل الهدايا العادية لقاء خدماته، لن يتوقف حتى تصير تلك الهدايا رشاوى صريحة ومقابل معلوم لكل مطلب بغض النظر عن مشروعية هذا من عدمه

وإذا تأملنا حالنا اليوم سندرك بسهولة لماذا جاء نهى النبي عليه الصلاة والسلام بهذه الشدة لمن قبل الهدية ـ ولو كانت حسنة النية ـ فى هذا الباب، وبالتالى فلو أننا طبقنا هذا الحديث فعليا لانتهت ثلاثة أرباع مشكلة الفساد الذى عم الأرض، ولهذا كان طبيعيا أن يقرن الرسول عليه السلام هذا الفعل بواحد من أعظم أبواب الربا،

ولكى نتخيل فداحة الذنب هنا فالربا ـ والعياذ بالله ـ واحد من أفدح الكبائر وهو الذنب الوحيد الذى أعلن الله فيه الحرب على فاعله، ويكفينا فى نصوصه أن الربا عدة مراتب متفاوتة

فى شدتها، وأهونها عند الله مثل إتيان الرجل أمه والعياذ بالله، وفداحة جرم الربا أعظم بمراحل من كل الكبائر عدا الشرك بالله وعقوق الوالدين والقتل ..

نسأل الله السلامة

* إبليس وحده هو الذى ليس لديه نقطة ضعف !

من أعظم الجهل الذى نقع فيه وقد تباعدت المسافة وبعدت الشُـقة بيننا وبين أصول تاريخنا وعقيدتنا العملية، من أعظم الجهل أننا أخذنا عن المجتمع فى أزماننا هذى مبادئ وقيم ـ هكذا نسميها ونفتخر بها ـ وهى فى الواقع عيوب فادحة وفضيحة يستحى منها العرب حتى قبل الجاهلية، ولا ينكر أحد أن التغريب فعل بنا وفعلنا بأنفسنا معه الكثير، فانقلبت الآية وافتخرنا بالمنكر واستحينا من المعروف

يجرى على ألسنة الناس كثيرا افتخار أصحاب الكبر بأنهم لا يمتلكون نقطة ضعف أو كما درجت التسمية (ده عيل فاقد ـ ده عيل معندوش اللى يخاف عليه)

ونحن نقول ذلك ونعجب به بل ويتمنى البعض منا أن يقلده، كل هذا ونحن لا ندرى أن تلك الصفات قديما كان لا يتصف بها العبيد المناكيد، وتنفر منها الفطرة السليمة والعرف السديد،

فليست الشجاعة أبدا ألا نخاف،

بل الشجاعة هى قدرتك على مقاومة الخوف، أما من لا يخاف فهو مريض بالبلادة يستحق العلاج، وليس الكرامة بألا

يكون لديك نقطة ضعف أو لديك ما تخاف عليه، فهذه من صفات أصحاب الخسة لأنهم فى الواقع لا ينتمون لشيء أبدا، وبالتالي لا يصعب عليهم التضحية بأى شيء وكل شيء بسهولة، ولا يوجد مسلم قط يمكن أن يتصف بهذا فإن لم يكن لديه الأهل والولد والعشيرة والوطن، فلا يمكن أن يخلو من الإيمان والعقيدة والدين والأخلاق لكي تصبح حرزا له يخاف عليه ويخشي فقده ويبذل في سبيله التضحية ..

ولا يوجد إنسان لديه ذرة من كرامة ويوقن بأن الله ربه، ولديه أدنى عقل يفاخر بما يفتخر به إبليس الذى ضحى فى سبيل كبره بالإيمان ورحب باللعنات أمام خالق الخلق عز وجل، فاستحق بذلك أن يكون مطرودا مذموما هو ومن يحلو له أن يتصف بصفاته

وقد اختار الله العرب وقريش لكى تكون الأمة التى ينزل عليها كتابه الكريم، ويخرج منها نبيه العظيم عليه أفضل الصلاة والتسليم، وما كان هذا الإختيار عبثا، بل لعدة صفات تميز بها العرب كان أهمها أخلاقهم التى جاء النبي عليه السلام فتممها وهذبها،

أى أنه لم يُنشئها من عدم، فقد بعث النبي عليه السلام متمما لمكارم أخلاق سادت فى المجتمع العربي وهؤلاء هم من سبقوا الدنيا كلها فى تفضيلهم النخوة والخلق على ما سواهما، واتصفوا بشجاعة ليس لها مثيل في سبيل الحفاظ على ثوابتهم تلك، وكانوا ـ على شجاعتهم تلك ـ لا يخافون شيئا أكثر من خوفهم أن يلحق بأحدهم عار النقيصة من خلق حسن،

ولنا فى سيرة النبي عليه السلام أفضل أسوة فى ذلك فرغم العداء الحافل للمسلمين إلا أن الثوابت الأخلاقية ظلت تحكم صراعهم معه، وأبي أبو سفيان أن ينتقص من قدر النبي عليه السلام أمام قيصر الروم وأجاب أسئلة القيصر بأمانة تامة ولما عاتبوه قال :

(ما كنت لأفعل فتحتسب على أبي سفيان كذبة)

إن كان نظام التعليم قد تبدل منذ مائة عام وخلت المناهج من تلك الدروس، فليس هذا عذرا لنا كآباء وأولياء أمور ألا نؤسس لهذه القيم ـ أو حتى بعضها ـ فى نفوس الأبناء، حتى لو كنا نحن الآباء لا نتحلى بها أو نجد صعوبة فى التمسك بها فلماذا لا ننتهز الفرصة فنقرأ ونتعلم ونربي أنفسنا ونربي أبناءنا معنا ولو ببعضها القليل، فما لا يُدرك كله لا يُترك كله

* الفارق بين الصمت والسكوت، وبين الصاحب والصديق

من أمتع علوم اللغة العربية على الإطلاق هى علوم البلاغة والفوارق اللغوية بين الألفاظ، إذ أنه من المتفق عليه بين فقهاء اللغة أنه لا يوجد ترادف كامل أبدا فى اللغة العربية، فكل كلمة لها مدلولها الخاص، وما يبدو لنا ترادفا بين المصطلحات لا يكون إلا وصف مرحلى دقيق للموصوف، مثل كلمة النوم مثلا فلها أربع مترادفات كل منها تعنى مرحلة معينة من النوم من أول السِنَة (بكسر السين) إلى النوم

وقد طالعت منشورا جميلا وضع فيه صاحبه بعض تلك الفوارق الدقيقة الجميلة ولكنه تحدث عن الفارق بين الصمت والسكوت، فأخطأ التفرقة ـ فيما أرى ـ حيث قال :

- الصمت : يتولد من الأدب والحكمة .
- السكوت : يتولد من الخوف .

فهذا فارق اعتقد انه غير صحيح ولا يفي بحقيقة الفارق بينهما ، وإلا كيف نفسر ما ورد فى الحديث الصحيح عن توصية النبي عليه السلام باجتناب شهادة الزور حين استمر يكرر :

(ألا وشهادة الزور ألا وشهادة الزور)

فقال الصحابة فما زال يكرهها حتى قلنا ليته سكت .. إشفاقا عليه

فالسكوت هنا لو أننا أخذنا بالتفسير السابق على انه نابع الخوف والجبن لما جاز للصحابة قطعا استخدامه فى هذا المقام أو تمنيه للنبي عليه السلام

ولهذا فالصواب حسبما أعتقد ..

أن الصمت هو المتولد ابتداء فلا يكون قبله أو بعده كلام، فالصامت هو الذى لم يظهر منه كلام إطلاقا

أما السكوت فهو ما يكون من الصمت بعد الكلام، فيقال سكت فلان عن الكلام، ولا نقول صمت فلان عن الكلام، ونعنى بهذا أنه تكلم وشارك ثم استمر الباقون وسكت هو

أو كما نقول فى الفقه، سكت الإمام فلان عن الحكم فى هذا، فمعناه أن الإمام له أقوال فى مسائل أخرى ولكنه سكت عن مسالة محددة، ولا نقول صمت عنها

بينما الصمت نستخدمه ابتداء لمن لا يكون له كلاما فى قضية ما إطلاقا فهو الصمت ولهذا تم استخدامه لوصف التورع عن الجدل المذموم وتم استخدامه أيضا فى وصف الحكمة وقد قيل فى وصف الإمام علىّ رضي الله عنه أنه كان طويل الصمت كثير العبرة

ولأن الشيء بالشيء يُذكر، فهناك فارق كبير ودقيق بين الصاحب والصديق،

فالصداقة هى الرفقة بين متكافئين أو نظيرين أو بين شخصين ليس بينهما تفاوت كبير فى المنزلة، بينما الصاحب أو المصاحبة لا تكون إلا بين اثنين بينهما فارق ملحوظ فى المرتبة والمنزلة،

ولهذا نقول (أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام) ولا نقول (أصدقاء النبي عليه السلام)، لأن المصاحبة لا تقتضي الإستواء فى المنزلة، بينما الصداقة تحتم التساوى

ولهذا أيضا نقول فى علوم الفقه عن تلاميذ أى إمام كبير أنهم أصحاب الإمام فلان والمقصود بأنهم تلاميذه لا زملاءه،

فنقول عن أبي يوسف ومحمد الشيبانى أنهم صاحبيّ أبي حنيفة، وقال الإمام الشافعى عن الإمام الليث بن سعد فقيه مصر العملاق (والله إنك لأعلم من مالك، ولكن أصحابك ضيعوك) ويعنى تلاميذه هم من أضاعوا مذهبه عندما لم يسجلوه أو يدونوه كما فعل أصحاب الأئمة الكبار

وربما يأتى سؤال للذهن إن كانت المصاحبة أقل من الصداقة مرتبة، فلماذا نقول فى دعاء السفر وهو الحديث المشهور (اللهم أنت الصاحب فى السفر.. الخ)

وهذا تفسيره واضح إذ أن استخدام لغة الخطاب مع الله عز وجل لا ينصرف معناها إلى ما نعهده من خطاب بين البشر والمصاحبة هنا تماثل ألفاظ الدعاء لله فى أنه الحافظ والحامى، ... الخ ، فمثلا عندما ندعو الله إنما ندعوه بصيغة (الأمر) ولا يوجد عاقل يقول أنه بمقتضي صيغة الأمر هذى نستنتج جواز توجيه الأمر لله بل هو الدعاء والتضرع، كأن نقول (أقسمت عليك يا رب إلا رزقتنى ..) .. وهكذا ..

* الفارق بين إعلام ٧٣، وعوالم ٢٠١٧

جرائم خيانة عظمى تلك التى يرتبكها إعلام الفضائيات منذ ظهور الفضائيات الخاصة على الساحة فى أواخر القرن العشرين،

ووالله لو أنكم راجعتم أفاعيل الإعلام وآثاره المدمرة على نفسية الناس منذ ذلك التاريخ لعرفتم من أين جاءت البلطجة ومن أين جاء التبجح والترويج للكفر والخيانة، ومن أين جاء الجهل العام بل والتجهيل المقصود ومن أين جاء إنتشار السحر والشعوذة،

وأخيرا .. من أين جاءت التجارة بكل القيم النبيلة حتى بالدين والوطنية !

لقد خاضت مصر حروبا عدة حتى عام ٧٣ م،

وفى ملحمة أكتوبر كان التركيز الإعلامى والمجتمعى يركز على النصر ويتعامل مع الشهداء وتضحياتهم بالمعاملة الواجبة الجديرة بأبطال ضحوا بحياتهم ونالوا أشرف ما يتمناه أى مقاتل ..

لم تكن هناك مناحات ولا تداول للصور الإنسانية بشكل سافل فى الإعلام يستدر به أحزان الثكالى والأرامل ويشعرهم بأن من ماتوا أبطالا كأنما ماتوا فى حادث مرور !

فى الحرب ـ أى حرب ـ الكلام إنما عن البطولة وعن القدرة وعن الإنجاز ومقدار ما حققته القوات من نتائج، الكلام يكون عما سنفعل بعد ارتقاء الشهداء وكيف يتم بث دماء الحماسة لباقي المقاتلين،

أما مناحات الإعلام والحرص على استضافة أمهات وذوى الشهداء وإجبارهم بالقوة المعنوية على الإنفجار بكاء على ذويهم فهذه والله جريمة عند من يفهم أثر ذلك، فليس هذا تعاطفا ولا تقديرا للشهداء كما قد يتوهم البعض بل هو تعامل خالى تماما من الرجولة التى يقتضيها الموقف، خاصة وأن الإعلام يقوم بأثر مدمر ويحقق نتائج الحرب النفسية التى فشل فيها العدو

والدليل على ذلك هو الأسلوب الذى يتربي عليه المقاتلون فى الجيش حيث يتواعد الأبطال على اللقاء فى الجنة أو على منصة التكريم بعد النصر،

فهذا هو الأسلوب الذى يجب اتباعه فى حرب كالتي نخوضها، أما تلك الصحف والمواقع التى تفتح ما تسميه دفتر عزاء للشهداء نقول لهم تعلموا من الصعايدة فإنهم لا يقبلون عزاء فى شهيد إلا بعد أخذ ثأره

* خطورة هوى الرأى فى الدنيا قبل الآخرة

هناك ثقافة عامة كانت تأخذنا من أن الطاعات جزاؤها فى الآخرة والمعاصي عقابها فى الأخرة، فلما نضج الفكر قليلا اكتشفنا كم كانت الحماقة بالغة بهذا الظن، فكل الأوامر الإلهية تترك أثرها الطيب فى الدنيا بأكثر مما تفعله نعماء الدنيا ولو كثرت، كذلك كل النواهى الإلهية لم تأت أبدا بشيئ تحرمه وفيه مقدار حبة من خردل من خير، وأثرها فى الدنيا يكون فادحا للدرجة التى تكفينا أن نتمثل بترك النواهى ولو لم يكن فى تركها غنيمة أخروية

وآفة الهوى والإستبداد تعتبر واحدة من أشد الموبقات التى حذرنا منها القرآن الكريم والسنة المطهرة، ويكون الأثر فادحا على حياة أى شخص يسلم نفسه لهواه، ويكفي فى هوى الرأى أنه كان مفضيا لكفر إبليس وكثير من أهل العبادة والصلاح !

والهوى مؤثر بنفس تأثيره السلبي دنيويا حتى فى غير المسلمين، فقيمة دفع الهوى قيمة إنسانية عامة كالعدالة تماما، فالدولة العادلة يقيمها الله ولو كانت كافرة، وهناك من الأمثلة التاريخية التى توضح لنا ما فعلته الأهواء الشخصية على مستوى

مصائر الدول لعل أبرزها فى شخصيتين من كبار السفاحين فى التاريخ،

أولهما أدولف هتلر الزعيم النازى أحد أبرز قادة الفكر العسكري والرجل الذى سحق أوربا بمفرده انتقاما من هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى، ورغم تعدد أسباب فشله فى نهاية الحرب العالمية الثانية إلا أن هناك إجماعا بين المؤرخين أن بداية نهاية هتلر كانت بقراره الأهوج بشن الحرب على الإتحاد السوفياتى بقيادة ستالين بدلا من التركيز على إخضاع بريطانيا،

هذا رغم أن ستالين كان من أكبر داعميه، وبينه وبين هتلر معاهدة عدم اعتداء وقف ستالين بمقتضاها على الحياد وقام أيضا بدعم هتلر اقتصاديا بالمواد الخام والبترول خلال الحرب ولو استمر هتلر بهذا التحالف لفاز حتما، لكن هتلر كان يضمر الهجوم على السوفيات أساسا ويتحين له الفرصة، وكل هذا بسبب المقت الشديد الذى يكنه هتلر للشيوعية، أى أنه بسبب موقف أيديولوجي بحت تسرع بتفريغ حقده وقام بإعلان حرب باربا روسا على السوفيات لينضم ستالين للحلفاء ويمثل انضمامه ثقلا عالميا بلا شك لهم، ولو تعقل هتلر وقام بتأجيل خططه بابتلاع روسيا أو معاداتها لما بعد فراغه من الحرب مع بريطانيا لتغير مصير الحرب بأكملها

ومن الناحية الأخرى ستالين نفسه المصنف على رأس السفاحين فى التاريخ الحديث عندما تولى قيادة السوفيات عام

١٩٢٨ م، وتحت تأثير شعوره بالعظمة ورغبة منه فى الإنفراد التام بالحكم قام بالقضاء على خيرة جنرالات الإتحاد السوفياتى ومنهم كافة أهل الخبرة من جنرالات الحرب العالمية الأولى، فكانت النتيجة المباشرة لهذا أن فقد الإتحاد السوفياتى خيرة ضباطه وقواده وعندما اقتحم هتلر الإتحاد السوفياتى كانت هزيمة السوفيات فادحة وخسروا عشرة ملايين قتيل واكتسحهم الألمان حتى وقفوا على مشارف موسكو ثم عرجوا إلى أوكرانيا ونهر الفولجا، ولولا تطور الحرب ودخول الشتاء القارس على الألمان لسقط الإتحاد السوفياتى نهائيا .. وكل هذا بسبب المقت الشخصي من ستالين تجاه القادة العسكريين الكبار

أما فى تاريخنا نحن قديما وحديثا حدث ولا حرج، فأمثال هذه الأمور فى تاريخنا المعاصر تحديدا أكبر من أن تحصي

* لا تتمنوا زمنا آخر غير زمانكم

هذه رسالة للأنقياء والـأتقياء الذين يتمنون لو أنهم وُلدوا أزمانا سابقة حيث كان الإيمان والإسلام والمسلمين فى عليين،

أقول لكل منهم وليسامحونى جميعا (اتوكس انت وهو وخليك فى زمنك)

طيب وليه قلة الأدب دى بقي .. تعالوا أقلكم ليه ...

لا ينبغي للمرء أن يتمنى زمنا غير زمنه، فلطف الله وحكمته أكبر بكثير من حكمة البشر، والفارق بينهما لا يمكن حصره، والله الذى خلقك وأقامك فى زمن الفتن رغم أنك تقي ونقي إن شاء الله، حكمته هنا لو تعلمها لقبلت يدك صباح مساء أنك ولدت فى زمنك، وفى قلب زمن الفتن ..

فقد ثبت عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه أن رجلا من التابعين قال له مادحا : (طوبي لهاتين العينين رأتا رسول الله صلي الله عليه وسلم)

كلمة مدح أهى مفيهاش أى حاجة ..

ورغم هذا غضب المقداد وتوجه للرجل قائلا :

(ومن أدراك أنك لو حضرت زمن النبي عليه الصلاة والسلام أكنت فى المؤمنين أم الكافرين به يا رجل ؟!)

بالضبط هو ذاك، فأنت تحكم على نفسك دون أن تخوض التجربة، والله عز وجل أعلم بنفسك وقدراتك منك، والمفاجأة أن هذا الأمر ليس منهيا عنه بسبب ما قاله المقداد رضي الله عنه فقط، بل السبب أكبر من هذا، ففوق أن المرء لا يضمن أكان من المصدقين الصابرين فى زمن النبوة أم لا، فهناك سبب أعمق ألا وهو فلسفة الحساب فى الدنيا ..

فالحساب على الأعمال فى الدنيا نسبي وليس مطلقا بقاعدة واحدة، فما نعتبره اليوم من جلائل الأعمال التى لا يؤديها إلا القلة النادرة من المؤمنين الخلصاء كدوام الذكر ودوام صلاة النوافل وصلاة الجماعة فى كل فرض،

هذه الأعمال الآن هى من العظام والنفائس التى لا يطيقها إلا القليل، وهى نفسها كانت فى زمن التابعين ومن تلاهم مجرد أعمال روتينية يؤديها العوام !

لأن جلائل الأعمال فى تلك الأزمان المباركة كان المتميز فيها هو من يقيم ثلثي الليل، ومن يختم القرآن فى ثلاث ليال، ومن يداوم على الذكر بعشرات الألوف، هؤلاء هم الفئة المميزة فى تلك الأيام

فلست أدرى لماذا يتمنى أحد أتقياء اليوم والمميزين بين أهله عند الله أن يولد فى زمن آخر يصبح فيه بالكاد عاملا بربع عمل العوام !

ولهذا لا تكرهوا زمن الفتن لأن الله وضع فيه للمتمسكين بالفرائض ـ لا النوافل ـ نفس أجر وفضل كبار العابدين فى

الأزمنة المباركة، وقد ثبت فى الحديث الصحيح قول النبي عليه الصلاة والسلام

(عبادةٌ فى الهرج ـ أى زمن الفتن والقتل ـ كهجرة إلىّ)

بمعنى أن المحافظ على عبادته وأقل النوافل اليوم يعدل أجره أجر المهاجر إلى النبي عليه الصلاة والسلام فى زمن الشرك، وكفي به أجرا عظيما ..

بل إننا نستطيع فهم هذا حتى بالمقارنة فى الأزمان القريبة، وأنا لو خاطبت جيلي وسألتهم عن حال مصر منذ عشرين عاما فقط، كيف كانت وكيف أصبحنا، سنكتشف أهوالا،

سنكتشف مثلا أن الإنتظام فى صلاة الجمعة وصلاة الفروض فى المسجد معظم الأوقات، وصلاة الفجر كانت من ثوابت القرى والنجوع وكنا ونحن صغار نؤديها مع أهالينا كعمل تقليدى لا نكاد نشعر له بتفرد .. وكانت قيمة الدين فى نفوس المجتمع مرتفعة للدرجة التى يمكن أن نعتبرها خيالا عمليا اليوم !

قارنوا هذا بحالنا اليوم وأخبرونا كيف هو الحال فى رمضان الذى أصبح العرف فيه أنه موسم المسلسلات والسهر مع الغوانى، وكيف حال الصلاة يا ترى، ألا يعتبر اليوم انتظام صلاة المرء ولو فى بيته علامة من أكبر علامات التقوى يذكرها له المجتمع كخصلة حميدة ونادرة !

فكونوا عند حد قول رب العالمين الذى قال

[وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ] {النساء:٣٢}

* ما يهبك الله من موهبة فلا تستخدمها لنفسك بل للناس ..

من أعجب وأغرب ما نستنبطه من القصص القرآنى هو منهج تعامل رب العالمين مع خلصائه من الأنبياء والرسل وأولى القوة، لأن تعامله مع المقربين يختلف عن تعامله معنا نحن العوام،

وكلما أزداد المرء قربا من الله ازداد بعدا من نفسه ورغباته، فهذه معادلة لا تتكسر قط،

وما منح الله عز وجل عبدا من عباده مكرمة النبوة أو الرسالة أو القدرة الخارقة وسمح له باستخدامها لصالحه الشخصي قط، وتعالوا نتأمل دلائل ذلك لنكتشف كيف أن بعض المدعين لوثوا سيرة الأولياء الصالحين بزعمهم معجزات وكرامات هى فى واقعها موبقات لو أنهم تأملوها

كلنا نذكر قصة الخضر مع سيدنا موسي عليهما السلام، فأحدهما هو واحد من أفضل خمسة من الرسل أولى العزم، ومؤيد من الله بخوارق غير تقليدية،

والثانى عبدٌ صالح أتاه الله قدرات تفوقت حتى على موسي عليه السلام وكلفه بمهام يؤديها دون أن يسمح له بالإفصاح

عنها، وفى خضم القصة نجد أن كليهما جاءوا للقرية فاستطعما أهلها ..

وهنا ينبغي أن نتوقف قليلا،

فهل يا ترى يحتاج الخضر وهو بقوته الخارقة تلك إلى أن يسأل الناس ـ كأى شخص عادى ـ طعاما أو شرابا، والأكثر إثارة للدهشة أن موسي عليه السلام لم يستغرب منه هذا التصرف بل فعل مثله ولم يلجأ كليهما أبدا لسؤال الله تعالى أو استخدام كرامتهما عند الله لإشباع حاجة بشرية بالغة البساطة وهى الجوع !،

فلماذا لم يفعلوا ؟!

أيضا كلنا يعرف سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ومعجزاته المتفردة وكيف عايش الصحابة عيانا تأييد الله لهم بالملائكة فى الحروب، وغير ذلك من معجزات خارقة فى عظائم الأمور .

ومع هذا كان النبي عليه السلام نفسه وأصحابه الكرام يستشعرون الجوع حتى الجهد البالغ، ويحصلون عليه بنفس النشاط الدنيوى الذى يمارسه أى إنسان عادى وأقل من العادى أيضا !

رغم أن النبي عليه السلام لو أراد لصار جبل أحد له ذهبا، وأتته النعم والدنيا راغمة تحت قدميه .. لكنه لم يفعل !، فلماذا؟!

والسبب كما قلت أن الله عز وجل أدّب عباده الأخيار فأحسن تأديبهم، فما يسألونه شيئا يخص مصالحهم الشخصية ولو

كانت مشروعة، ونجحوا فى كل اختبار اختبره الله لهم فى ذلك فما من نبي أو رسول إلا وابتلي فى أهله وولده ومع هذا ما سأل الله لهم شيئا وامتثل لأمر الله،

والنبي عليه السلام كان يتمنى من أعماق قلبه أن يسلم عمه أبا طالب، وكان يستطيع أن يدعو له بتلك الدعوة الخاصة التى يهبها الله لكل نبي وتكون مستجابة استجابة فورية، لكن النبي عليه السلام ادخر تلك الدعوة وجعلها لأهل الكبائر من أمته يوم القيامة، ولم يستخدمها لأقرب الناس إليه عمه أبو طالب رغم شدة ولعه بهداية الله له ..

لكنه عليه السلام ما كان ليفعلها وهو من هو عليه أفضل السلام، لأن كل ما يهبه الله للخلصاء من النعم والقرب يجعلونه فى الناس دون ابتغاء الجزاء منهم، بل إنهم حتى لا يحرصون أو بمعنى أدق يتفادون تماما أن يعلم الناس عنهم شيئا من أفضالهم ويجعلونها سرا ما بينهم وبين ربهم،

والأهم والأخطر أنهم يؤثرون أبعد الخلق عنهم بأفضل ما لديهم ويبخلون على أنفسهم بأقل ميزة ـ حتى ولو كانت مشروعة ـ فى سبيل التفانى لأداء رسالتهم نحو الخلق وإنكار ذواتهم لأبعد الحدود، ولهذا اختارهم الله بعد أن علم ما في فى قلوبهم ..

فمن أراد سلوك هذا الدرب القويم فليسأل نفسه ويحاسبها ويقيس مدى تمنيه الخير للناس كافة بمدى تمنيه الخير لنفسه، وعندها سيعلم مقدار الإيمان فى قلبه

* التدبر العملى للقرآن ..

عندما أرسل الله عز وجل نبيه المصطفي عليه الصلاة والسلام بمعجزة القرآن، لم يطلب منه إلا أن يقرأه على الناس، ويدعوهم للإنصات ـ لا السماع ـ ويدعوهم للتدبر فيه ـ لا مجرد التبرك بقراءته وحسب، ويدعوهم لحفظه فى الصدور لا فى العقول ! ..

وقديما كنا نفهم التدبر خطأ، أنه القراءة المتعمقة والوصول للمعانى والتفاسير وحسب، وهذا لا شك تهوين رهيب من جلالة قدر التدبر العملى الواجب على كل مسلم ومسلمة، إذ كيف يمكن أن يكون القرآن منهج حياة للمسلم ولا تكون آياته بمثابة المرجع الرئيسي فى كل المواقف التى تمر به فى حياته،

بمعنى أكثر بساطة .. التدبر الأعلى والمقصود هو التدبر العملى، وكمثال للتوضيح، دعونا نسأل أنفسنا كم مرة، بل كم ألف مرة قرأنا قوله تعالى ..

[وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ] {الزُّمر:٤٥}

هذه الآية الكريمة بالتحديد لا يوجد مسلم على وجه الأرض لم يمر به موقف أو مواقف تنطبق عليها انطباقا تاما، وتعالوا

لنسأل أنفسنا، كم مر الإنسان بنا بموقف صعب يستطيع حله أولى النفوذ والقوة وسعينا ـ وليس بهذا حرج فى ذاته كأخذ بالأسباب ـ سعينا لمن يوصلنا لأصحاب الوساطة ليحلوا مشكلتنا، وصادفنا الصعوبات، وهنا يأتى لنا من ينصحنا بصدق وإخلاص فيقول (خليها على الله وارمى حمولك عليه)

بالله عليكم كم عدد المرات التى يمكن أن يزعم الواحد فينا أن التذكير بالله قد وقع موقع الطمأنينة الفعلية فيه، وكم مرة يا ترى إذا جاءنا من يبشرنا بأن المسئول الفلانى أو الوزير العلانى سيتدخل فوجدنا أنفسنا فى قمة الثقة وقمة الإستبشار بأن المشكلة حتما سيتم حلها ! .. وكل هذا لمجرد ذكر اسم مسئول كبير وصلنا إليه بشق الأنفس لحل المشكلة ..

بينما عندما جاءتنا نصيحة مخلصة من أم أو أب أو صاحب مشفق فنصحنا باللجوء لله، كان ردنا باللسان (ونعم بالله)، بينما وَجْــه الواحد منا يُكذّب قوله ويُكذب ثقته المفقودة بالله لأنه لم يستبشر لفشله فى استرحام أصحاب الوساطة !

أليس هذا تطبيقا عمليا لعتاب الله تعالى فى الآية الكريمة وتطبيقا عمليا لحالنا إذا اقترن الذكر بغيره

(وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ)

وهل بعد هذا نسأل لماذا لا يوفقنا الله فى مقاصدنا الدنيوية؟! .. نستغفر الله تعالى من كل قول بلا عمل

* فى مسألة تحريم عيد الأم !

ما يغفله الناس فى الغالب عند مطالعة بعض الفتاوى من التيارات الدينية المختلفة، يغفلون أن هذه الإتجاهات فى مجملها هى تيارات يحكمها أيديولوجيا محددة، وبالتالى فالفتاوى التى تخرج من العلماء المنتسبين إلي تلك التيارات لا يلتزمون بالأدلة الفقهية وحدها وإنما هناك إلتزام بما تفرضه أدبيات التيار ذاته

رأينا هذا فى أدبيات التيارات والطرق الصوفية، وأدبيات وفتاوى الشيعة، وفقهاء وعلماء المعتزلة وغيرهم، ولم يخرج التيار السلفي السياسي عن هذا، فقام بتقنين بعض الفتاوى واعتبرها من الثوابت العقائدية رغم أنها لا تمس العقيدة فى شيء باعتبارها فتاوى فقهية محضة .. بعضها متفق عليه فى الفقه والبعض الآخر فيه خلاف سائغ لكن لا يعترف السلفيون بهذا الخلاف

وتعتبر من أدبيات وثوابت التيار السلفي مسألة التحريم المطلق لما يسمى بأعياد أو ما يطلق عليه كلمة (عيد) طالما أنها تجاوزت الوصف التشريعي للأعياد الثابتة بمقتضي القرآن والسنة،

وعليه امتد التحريم عندهم للأعياد البدعية التى يمكن قبول القول فيها بعدم الجواز باعتبارها أعياد لا تمت للمسلمين بِصلة كالفلانتين والهالوين وما شاكل ذلك من استيراد الغرب،

لكن غير المفهوم هو مد التحريم واستخدام لفظ التحريم بكل ما يحمله عند الفقهاء من ثقل ـ باعتبار أن التحريم يتطلب نصا صريحا أو قياسا معتبرا لا شك فيه ـ استخدموه على تحريم عيد الأم مثلا واعتبروه من البدع التى تقدح فى العقيدة باعتباره من مستوردات الغرب، ولكن الأصل فى التحريم والكراهة وعدم الجواز أن يتصادم الشيء المأخوذ من الغرب مع ثابت من ثوابت الدين، وهو ما لا يتوفر فى أمثال هذه المباحات التى يحرم تقليدها وإلا لو أخذنا بنفس المقياس لما لجأ المسلمون لإنشاء الدواوين وسك العملات وتفريد المناصب والإدارة المحلية، وهذه كلها استعان بها المسلمون تقليدا للفرس والرومان بلا أى إنكار ولم يعترض فقيه على أن هذه الأشياء مستوردة من الغرب أو أنها تدخل تحت مفهوم البدعة ..

والحقيقة أن إثارة هذه القضايا شديدة الفرعية وربطها بالعقيدة من السلفيين هو من الأمور التى تقدح فى ثوابت السلف أنفسهم،

فمن الغريب مثلا على من يطلق هذه الفتاوى كل عام وينادى بعدم التشبه بالغرب فى أمثال هذه الأمور الفرعية، هم بأنفسهم من يسكتون عن مصائب تتصادم بالعقيدة تصادما مباشرا مثل الإستعانة بدول الغرب ـ وهم كفار حربيون ـ فى أمور الدفاع عن

بعض البلاد أو السماح لهم بإقامة قواعد عسكرية فى قلب تلك الدول !

ولو تجاوزنا هذا وخرجنا إلى ما يفعله حزب النور مثلا لوجدناهم صمتوا وبرروا ما هو أفدح من عيد الأم وعيد الحب مثل تصرفات نادر بكار ـ متحدثهم الرسمى فى الحزب ـ التى بدأها بطلب منحة دراسية فى أمريكا وأنهاها بلقاء سياسي مع واحدة من أشرس الوزيرات الإسرائيليات ليحدثها فى السياسة المصرية .. !

ويحضرنى قول الإمام العز بن عبد السلام فى هذا الشأن حين قال

(إذا نزل الفقيه بأرض انتشر فيها الربا فحدثهم عن حرمة الزنا فقد خان الأمانة) !

فمتى يدرك المتشددون فى الفرعيات أن التشدد أولى في مصائب الأمة التى تركن نفسها للغرب فى السياسة والعسكرية والإقتصاد !

* الفارق بين العرف والعادة، والمروءة والشهامة، والقذف والسب

ما زلنا فى رحاب اللغة العربية وفوارقها الدقيقة التى يمثل تطبيقها فى حياتنا العملية فارقا رهيبا،

وكمثال قبل شرح فوارق الألفاظ، هل تعلمون أن هناك جمهورا من الناس كاد أن يصيبهم اليأس من رحمة الله بسبب غياب فهم المعانى، ومن ذلك قراءتهم لقول الله تعالى

[الَّذينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ] {الرعد:٢٨}

فالمؤمن يمر بتلك الآية فيرتعد خوفا وهو يري نفسه إذا وقع فى مصيبة ما، أن قلبه تأثر بها وشعر بالمشاعر البشرية الفطرية من الخوف والقلق، وهنا يظن بنفسه عند قراءة الآية أنه ليس من المؤمنين حقا بل هو من المنافقين ويكون دليله أن قلبه لم يطمئن عند الإبتلاء بذكر الله .. وهذا بالطبع وفقا لما فهمه من نص الآية وهو فهم خاطئ بالطبع،

فالآية الكريمة السابقة لا تتحدث عن هذا الموضوع أصلا، بل هى آية فى أحكام الحلف بالله تعالى، أى بالأيمان، فمن فرائض الله تعالى على المؤمنين أنهم إن واجهوا شخصا لا

يعلمون إن كان كاذبا أم صادقا ثم حلف هذا الشخص على ما يقول، فهنا يجب أن يصدقوه وتطمئن قلوبهم بذكر الله فى هذ القسم إجلالا لمكانته !

هذا هو مقصود الآية ..

ونعود للألفاظ ..

فالناس تخلط بين القذف والسب خلطا شديدا رغم كونهما جريمتين منفصلتين ولكل منهما جزاء مختلف تماما،

مبدئيا أحاديث ونصوص النهى عن السب أى الشتم كلها نصوص تشمل سائر أنواع الإنتقاص والطعن فى الأشخاص وكلها ـ وهذا هو الأخطر ـ تندرج تحت كبيرة (الطعن فى العرض)، فليس الطعن فى أعراض المسلمين معناه فقط الطعن فى أنسابهم أو رميهم بالفاحشة، فليس هذا من فقه اللغة ولا الدين، فأى سب أو تحقير أيا كان نوعه فهو طعن فى عرض الشخص، وسائر الجزاء المغلظ على الطعن فى الأعراض يشمل سائر الشتائم مهما كانت خفيفة فى عيون الناس، ونسأل الله العفو والعافية .. وفى هذا جاء قول الشاعر السموأل بن عادياء

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ** فكل رداء يرتديه جميل ..

فالشاعر هنا يتحدث عن صفات الأخلاق ومنها اللؤم، ويربطها بالعرض، وهذا ما يوضح المعنى السابق من أن العرض وصف عام للإنسان لا للأفعال ومرتبط بالأخلاق والصفات لا بفعل القذف والرمى بالفاحشة

أما القذف،

فهذا لا يندرج تحت مفهوم كبائر الذنوب وحسب، فالقذف هو الطعن والرمى بالفاحشة والزنا، وهذه من أكبر الكبائر ـ وليست مجرد كبيرة عادية ـ والأهم أنها جريمة جنائية فى الفقه الإسلامى لها حد معروف وهو حد القذف، وتوعد الله فاعلها بأشد أنواع العقاب فى الدنيا والآخرة ويكفي فيها أنها جريمة ذات حد فضلا على أنها تُسقط شهادة صاحبها شرعا فيعتبر فاسقا لا تجوز شهادته،

ومن هذا المعنى ففارق ضخم بين السب العادى وبين القذف الذى يتعامل معه الناس على أنه سب ويعتبر من لغو القول

أما العرف والعادة ..

فالفارق بينهما كبير أيضا، ومعظمنا يطلق مسمى العرف على عادات مجتمعية ويظن أنهما متماثلان،

بينما العرف مصطلح محكوم سواء فى الشريعة أو القانون، وهو ثالث مصادر التشريع، ويكفيه هذه الصفة لمعرفة خطورة معناه فالعرف كأحد مصادر التشريع الرئيسية ملزم للقضاة فى الأحكام عند غياب النص والإجماع أو السوابق القضائية ، وتعريفه ببساطة هو كل أمر تعارف الناس على إقراره ما لم يخالف شرعا أو نصا أو حكما أخلاقيا عاما،

بينما العادة هى ما تعارف عليه المجتمع وفقط، وهنا يكمن الفارق، فالعرف لا يسمى عرفا أبدا إذا اشتمل على عادة سيئة أو مناقضة للدين والأخلاق، بينما العادات هى ما يعتاده المجتمع

ويفرضه لنفسه بغض النظر عن كونه عادة سيئة أو صالحة، ومن هذا الفارق ندرك أيضا معنى المروءة ..

فالمروءة ليست كما نستخدمها فى حياتنا كدلالة على (الشهامة)، فالشهامة هى إغاثة الملهوف ونجدة المظلوم وما شاكل ذلك من طباع الخلق الحسن،

بينما المروءة ليست خُلقا بل هى صفة مرتبطة بالعرف المجتمعى، وتعريفها هى الصفة التى تمنع الشخص من مخالفة أعراف مجتمعه أو الخروج عليها، فيُـقال عن هذا الإنسان أنه إنسان تام المروءة، كمن لا يخالف أزياء وملابس مجتمعه ولا يخالف طباعهم وتقاليدهم

* الفارق بين الخوف والرهبة والخشية ..

هذه المرة تتعلق بفوارق واضحة وهى التى تتناول مصادر (الخوف) وقد اهتم بها علماء فقه اللغة وعلماء التفسير وأغنانا الله من فضله وفضلهم فى بحوثهم، فليست فوارق درجات الخوف وأنواعه بالفوارق الدقيقة أو التى تحتاج بحثا أو اجتهادا، فالخوف هو اللفظ الجامع لوصف هذا الشعور الإنسانى، وتنقسم فوارقه إلى قسمين ..

القسم الأول :

وهو الفوارق بين مراتب ومستويات ودرجات الخوف وهى التى تشمل مشتقاته كالقلق والتوجس والفزع والهلع والرعب و ..... الخ، فهذه كلها تحمل نفس المعنى ولكن بدرجات تأثير مختلفة ..

أما الفارق الدقيق فهو الذى يكمن بين الخوف والرهبة والخشية ..

فالرهبة والخشية ليست من درجات الخوف ومشتقاته، بل هى ألفاظ تعالج مشاعر مختلفة وإن كانت تدور فى نفس المضمون .. وتظل كلمة (الخوف) هى الجامعة أو المصدر الشامل لكل ما يتعلق بهذا الشعور ..

أما الخشية فهى الخوف الممزوج بالحب والتقدير والاحترام، وليس من الضرورى أن تتعلق بمخافة الضرر أو الشر بل تشمل خوف إغضاب الذى يخشاه الإنسان من منطلق الحب لا الكره

أما كلمة الخوف فهى تحتمل المعنيين أن يكون الخوف من عدو تكرهه وتكره شره، وأن يكون الخوف للشر وحده ..

فالإنسان مجبول بطبيعته على كراهية الخوف ومصدر الخوف ذاته، كالذى يخشي الضرر من منابت الضرر الواضحة كالكوارث أو السلطة الغاشمة ونحوها وبالتالى من المستحيل أن يشعر نحوها بالمودة،

أما الخشية فهى لا تحمل إلا معنى الخوف الذى تكرهه ولكن لا تكره مصدره .. بل على العكس .. ولهذا شاع فى القرآن الكريم استخدام لفظ الخشية لوصف الخوف من الله تعالى ولم يرد لفظ الخوف مقرونا بذات الله سبحانه إلا فى آية واحدة تقريبا وهى قوله تعالى

[يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ] {النحل:٥٠}

ولكن فى بقية الآيات جاء الخوف دائما مقترنا بمخافة الحساب أو العذاب أو مخافة جحد النعمة، وبالمقابل انتشر لفظ الخشية مقرونا بالله تعالى فى معظم آيات القرآن، لأن الإنسان إنما يخاف غضب الله عليه ويكره أن يحل به هذا الغضب ولكنه بطبيعة الحال يحب الله عز وجل ويتمنى رضاه ..،

ولهذا أيضا جاز استخدام لفظ الخشية مع خوف إغضاب أصحاب الفضل كالآباء والأمهات والأصدقاء والعلماء ونحو

ذلك..، لكن الخشية لا تقترن بوصف الخوف من الكوارث أو خوف العدو ..

أما الرهبة ..

فهى وصف مقابل لوصف الهيبة والإحترام والتقدير والتبجيل، والفارق بينها وبين الخشية، أن الخشية مقرونة بخوف الضرر الواقع فعليا، ولكن الرهبة شعور بالخشية من مصدر الخوف نفسه ومحاولة توقي وقوع أسباب الضرر، أى أنها تصف حالة ما قبل وقوع الضرر والخوف من إحتمال وقوعه ومحاولة تلافيه ..

كذلك يتضح الفارق بينهما فى أن الخشية لا تكون إلا مع مصدر نتوقع منه أو يملك وسائل الضرر ونخشي من استخدامه لها،

ولكن الرهبة لا تقتضي ذلك ..فيمكن أن تأتى الرهبة من مخافة إثارة استياء المرهوب حتى مع استبعاد احتمال وقوع الضرر منه أصلا، كذلك يمكن الشعور بالرهبة تجاه شخص لا يملك أى قدرة على الضرر فنرهبه لأجل مكانته العالية وحسب، حيث يكون مجرد شعوره بالاستياء منا هو فى حد ذاته أكبر من أى ضرر عملى يمكن أن يحدث،

أى أن القلق هنا يكون من منطلق شدة الحب وعليه تكون الرهبة أكبر من الخشية ..

لهذا فالمسلم يخشي الله، لكن المؤمن تام الإيمان يخشاه ويرهبه فالمسلم يخشي الضرر ويهمه توقيه بينما المؤمن مع إدراكه أن الله لا يعجل العقاب لمؤمن إلا أنه يضاعف تقواه ليس

خوف العقاب بقدر ما هو إجلال لمقام الله ، ويتوقي بالإستغفار حتى الذنوب التى لا يعرف أنه قد ارتكبها ولكنه يفترض ـ من واقع رهبته ـ احتمالية وقوعه فيها دون أن يدرى فيقدم الإستغفار حرصا وتفانيا

ومن ذلك أيضا ..

جاز استخدام الرهبة والهيبة تجاه العلماء ولو لم يكونوا من أهل السلطة أو يملكون شيئا من الولاية، وتكون الرهبة منهم أشد وأبقي من خوف السلطان، وشتان ما بينهما، فالأول ـ وهو العالم ـ اكتسب صفة الرهبة لصفة أخرى لصيقة به ولا يمكن نزعها عنه وهى صفة العلم والتقوى، بينما الثانى ـ وهو صاحب السلطان ـ اكتسبها من صفة طارئة عليه ويمكن نزعها عنه وبالتالى تسقط أسبابها

* الغنائم الباردة، والذكاء الإيمانى ..

الغنيمة الباردة هى مصطلح عربي أطلقه العرب لوصف المكسب الكبير الضخم الذى يأتى للإنسان من فعل هيّن لا يكلفه الكثير،

وقد جاء المصطلح فى دعوة الإسلام لوصف عدد من الأعمال جليلة الأجر إلى أقصي مدى، رغم أنها قد لا تكلفك شيئا يُذكر من جهد العمل ..، وهى تضم عددا كبيرا من الأعمال اليسيرة التى إن تم أداؤها بإخلاص كان أجرها فوق التصور، ولعل أكبر مثال لها ذكر الله تعالى، وكذلك صيام الشتاء للتطوع، والصدقات القليلة، والضحك والإستبشار فى وجوه الناس، وإفشاء السلام، إلى غير ذلك ..

لكن هناك عددا من الأعمال العظيمة التى تثقل الموازين، وتمثل غنيمة خالصة للمؤمن ـ لا مجرد غنيمة باردة ـ فالغنيمة الباردة على الأقل فيها نوع من الجهد البسيط، لكن الغنائم الخالصة هى أعمال ثقيلة الميزان رغم أنها لا تكلف شيئا قط،.. نعم لا تكلفك جهدا من أى نوع كان، فمدارها كله على النية الحسنة وحسب .. منها ..

أولا : تنقية الصدر من الضغائن، هذه وحدها كفلت لأحد الصحابة شهادة من النبي عليه الصلاة والسلام بأنه من أهل الجنة، وقد ورد فيها حديث مشهور ما معناه أن النبي عليه السلام أخبر بعض صحابته بأنه سيدخل عليهم رجل من أهل الجنة، ثم دخل رجل ليس معروفا عندهم بكثرة العبادة، فلما تحروا أمره ـ لأن الصحابة كانوا يتنافسون فى الخير بأكثر مما نتنافس نحن على الدنيا ـ فتحروا أمره وتعجبوا، فلما سألوه لم يزد الرجل إلا أن قال أنه لا يبيت ليلته نائما قط إلا وقد صفّي قلبه من كل كراهية أو ضغينة لأى مسلم، مهما حدث منه، ويبات سليم القلب معافي الروح والبدن ..

ثانيا : تعظيم أمر الله تعالى .. من الحقائق الغائبة عنا ويندر فينا من يعمل بها، حقيقة أن الله عز وجل إنما يطالع قلوبنا لا صورنا وأعمالنا، ولهذا فإن أى ذنب يهون عند المذنب فهو بلا شك كبير عند الله بمثل مقدار هوانه عند صاحبه، والعكس أيضا صحيح،

فإن الذنب إذا عظم فى نفس العبد بعد توبته منه يمحوه الله وينسفه نسفا بمقدار تعظيم العبد التائب لهذا الذنب، والسر كله فى مقام التوقير والتقدير لأمر الله وجلالة سلطانه، وليس هذا فى أمر الذنوب فحسب، بل هو أوضح فى الطاعات، فالمؤمن إنما يُـقاس إيمانه بمقدار تعظيمه لله ولأوامره ونواهيه، فالذى ينفذ أمر الله ويجتنب نهيه، هؤلاء كثيرون فى أهل الطاعة .. لكن هناك شيء أكبر وأعظم يرفع به العبد درجته وهى التعظيم

لكل أمر ـ مهما بلغت بساطته ـ طالما أنه كان من الشريعة، فتجد المؤمن من هؤلاء غيورا صارما على نفسه إذا ما بلغه حديث أو بلغه معنى آية لم يكن يدركها تجده على أتم استعداد لترك أى مكسب دنيوى لمجرد أنه قد صدر عن صاحب التشريع، حتى لو كان هذا الأمر أو النهى مجرد شيء يدخل تحت أبواب المستحب أو النافلة ..

وهذه الصفة نتعامل بها حتى فى معاملاتنا الدنيوية، فأعظم الناس برا بأبويه وأساتذته عند الناس هو ذلك الذى لا ينتظر الأمر منهم ليقوم به، بل تراه يستشرف ما يحبونه فيبادر إليه، وتراه يتحرى مواطن سرورهم ويقبع فيها ويتجنب مواطن كراهتهم ولو أباحوها له عن طيب خاطر، وهذا من شدة التعظيم لهم وشدة حبه .. فإذا كان هذا فى حق الأبوين أو المعلم، فكيف بالله عز وجل

ثالثا : حسن الخلق وعدم الخوض فى الجدل ...، وهذه من أعظم القربات إلى الله ولا يوجد عمل وقعت عليه عينى يضع الإنسان إلى جوار النبي عليه السلام فى الجنة قدر هذا العمل رغم أنه لا يكلف المؤمن شيئا من جهد بدنى أو مادى فالحديث الصحيح عن النبي عليه السلام ينص فيما معناه :

(أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسّن خُلُقَه)

والحديث يستحق منا أن نتوقف عنده طويلا،

لأنه عمليا نحن لا نستفيد أدنى فائدة من الجدل أو الكذب الغير مبرر أو سوء الخلق، بل إنها أفعال تجلب النفور للشخص، أى أن تركها فيه فائدة دنيوية عاجلة، ورغم هذا يجهل الكثيرون مدى الجزاء الموفور لترك تلك العادات السيئة،

ولترجمة الحديث كواقعى عملى أو بلغة عملية نطبقها على مواقع التواصل،

فالجدل هو كل نقاش لا يعطى ثمرة أو ينتج فائدة من أى نوع، بأبسط معنى هو (هرى الفيسبوك) حيث تجد الأمثلة بلا حصر على جدالات ونقاشات ينطبق عليها المثل

(الجنازة حارة والميت كلب)،

فالترفع عن الخوض فيها واجب، ولو كنت محقا، بمعنى أنك قد تكون على حق إن دخلت فى الجدل ولو لتنهاهم عن تلك النقاشات العقيمة، هنا تدخل لتؤدى فريضة الأمر بالمعروف فإذا وجدت من استقطبك لتخوض بردود لا نهائية على نفس الموضوع أو بادلك السخرية أو السب فلا تعد للنصح مرة أخرى .. فإن فعلت هذا ينطبق عليك الحديث بترك الجدال ولو كنت محقا

وأما ترك الكذب فلا يحتاج لتوضيح،

وأعلى قمة فى حسن الخلق وهى القمة التى تصعب علينا جميعا حفظ اللسان عن الأعراض، وحفظها عن فواحش القول، خاصة فى عالمنا اليوم وما يحدث فيه بصفة يومية فى السياسة والإجتماع والأخبار البالغة الإستفزاز، وتعتبر كارثة كبري أن بعض من يتناولون هذه الأمور بالنشر والتعليق يظنون أنهم يدافعون

عن القيم ولا يدركون أنهم مخالطين لها حتما ومشجعين لها لأن كل خبر مستفز يفعله صاحبه لا يهدف أساسا من ورائه إلا إثارة الجدل المتوقع فى الفيس وغيره، وبالتالى ينتشر الباطل وتنتشر الشتائم وكل هذا بلا أدنى ثمرة ..

* الرد على منشور منتشر يدعى أن النبي عليه السلام كان يكتب ويقرأ بسبعين لغة !

انتشر هذا المنشور المرفق صورته على الفيس من مدة طويلة وعلى نطاق واسع ومستفز، وهذه المنشورات يكتفي من يرد عليها بالرد على الناشر نفسه، ولكن إذا انتشر المنشور المغرض فلهذا يجب نشر الرد أيضا على نطاق واسع، لأننا جميعا عندنا حسن النية، ولدينا جميعا الرغبة الأكيدة فى نيل ثواب نشر العلم،

ولكن هذه النية الحسنة لا تصلح العمل الفاسد عندما نقوم بنشر أى كلام مذكور دون مصدر يمس العقيدة أو صحيح الدين دون أن نتحرى مصدره أولا، فلا يكفي إطلاقا أن يكون المنشور مكتوبا على هيئة صورة مطبوعة هكذا بدون دليل أو مرجع، ولا يكفي أيضا أن ننشر حديثا لمجرد وروده فى كتاب، فالمهم أن يكون المنشور مقرونا بالمصدر والدليل على الصحة من أقوال وأحكام العلماء فإن لم تجد ذلك فلا تبادر بالنشر، فالحسنات التى ستجنيها بتحرى الدقة والإمتناع عن نشر شيء لست متأكدا منه، أكبر بكثير من نشر شيء ـ ولو كان صحيحا ـ ما دمت لست موقنا من صحته

وبخصوص المنشور ـ موضوع التعليق ـ

فهو أحد عجائب وغرائب الشيعة الإثناعشرية وكتبهم مليئة بأمثال تلك الخرافات، والنبي عليه السلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، وهذا فى حد ذاته كان أكبر دليل على إعجاز رسالته، فلو كان النبي عليه السلام له قدرة على مطالعة الكتب لاتهموه بأنه قام بتأليف القرآن أو نقله من كتب السابقين، والأدلة على ذلك قرآنا وسنة أكبر من أن نحصيها ومنها قوله تعالى :

[وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِه مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ] {العنكبوت:٤٨}

والآية صريحة فى خطاب الله تعالى لنبيه بأنه جعله أميا لا يدرى ما الكتاب ولا يخط القلم، حتى لا يتخذها المبطلون ذريعة للتشكيك فى الوحى الشريف،

ثانيا: من السيرة النبوية والأحاديث الشريفة تواترت الأحاديث القطعية بما يفيد ذلك وقد وصفه الله عز وجل بأنه النبي الأمى، وكان النبي عليه السلام يتخذ كتبة يكتبون الوحى عنه من الصحابة كزيد بن ثابت ومعاوية وغيرهم رضي الله عنهم، كذلك كان يتخذ كتبة من الصحابة فى المعاهدات مثل ما حدث فى معاهدة شجرة الرضوان التى كتبها الإمام على رضي الله عنه .. فى الواقعة المشهورة ..

ثالثا : بالنسبة للأدلة التى ساقها المنشور، فهى ليست أدلة، بل علامة من علامات الجهل اللغوى والجهل بأبجديات التفسير، فقوله تعالى عن النبي عليه السلام

(ويعلمهم الكتاب والحكمة)،

المقصود منها تعليم النبي عليه السلام للقرآن والسنة النبوية، وهذا واضح لأبسط من يجيد لغة العرب، ولو كان المقصود من كلمة (الكتاب) فى الآية الكريمة معنى الكتابة لكان معنى هذا أن النبي عليه السلام كان يعلم الصحابة القراءة والكتابة، وليس الوحى !،

هذا فضلا على الحقيقة الثابتة وهى وجود كَتَبة للوحى من الصحابة معروفين بأسمائهم كانوا يكتبون الوحى عن النبي عليه السلام كزيد بن ثابت ومعاوية وغيرهم

رابعا : القول فى المنشور بأن تعبير (النبي الأمى) الوارد فى القرآن معناه النسبة إلى أم القرى وهى مكة، وليس معناه النسبة للأمية، يخالف كذلك قواعد النسب فى اللغة العربية، فضلا على أن النسبة للعَلَم فى اللغة تكون فى أصل اسم العلم من باب أولى وليس إلى أحد صفاته، بخلاف أن أجماع أهل التفسير واللغة على ذلك،

بقي أن نوضح أن الكلام المنسوب للإمام الرضا مكذوب عليه قطعا كعادة افتراءات الشيعة، لأن تفاسير الشيعة للقرآن جاءت من نبع فارسي لا علاقة له باللغة العربية التى يجهلون مبادئها، وبالقطع ما كان لإمام مثل على الرضا رضي الله عنه أن يخطئ فى الإستدلال بهذه الصورة الساذجة

* الإسلام دين (الوسطية) لكنه لا يقبل (الأمور الوسط) فى أحكامه

طيب هل العبارة دى مثلا لغز !! ..

أبدا، ليست بلغز ولا هى عبارة غريبة بل هى أصل التشريع كله، وكلامى هنا لمن أصابته الحيرة والغيظ لما نواجهه اليوم من دعاة (تجديد ووسطية آخر الزمان)،

فخطورة انتشار الشبهات بشكل مكثف على الإعلام مع تقليص ومحاربة أى ردود علمية وافتقاد علمائنا ودعاتنا لأى منبر يوضحون للناس فيه ما يرونه، هذا كله هو سبب انتشار الحيرة التى لا تقوم أصلا على أساس، لكون الشبهات المثارة اليوم من أغبي ما قرأت فى تاريخ الشبهات عبر القرون .. ولولا الجهل العام باللغة ومبادئ التشريع لما استطاع الإعلام تشكيك الناس بأمثال تلك الشبهات

الإسلام هو دين الوسطية دون شك، وأمته هى أمة الوسط بين كافة الأمم، وهذا أحد الفضائل التى تميزت بها أمتنا بنص القرآن، ولأنه دين الختام، ودين التكليف لسائر البشر فقد جاءت تشريعاته لتحتوى على صفات جامعة لم ينلها أى تشريع سماوى سابق، لكون التشريعات فى الأديان السابقة كانت خاصة بأمم محددة وظروف محددة،

وهذا بالطبع لا ينطبق على الإسلام فهو للناس كافة، فضلا على أنه ممتد غير منسوخ لآخر الزمان، وبالتالى عندما تسمع مجددا من مجددى اليوم يصف تشريعا قرآنيا ثابتا بأنه تشريع خاص بالأجيال السابقة ولا يصلح لنا، فعلى الفور عليك أن تقوم بدورك المطلوب مع هذا المجدد ومطالبة الجمعيات الخيرية بالقيام بدورها معه وافتتاح مستشفي خاص لأمثال تلك الحالات المستعصية .. !!

ونعود للشرح،

فالإسلام جاء وسطا بين الروحانية والمادية، فقد كانت اليهودية ديانة لأمة بنى إسرائيل التى تميزت بأنها مادية للغاية، ولهذا جعل الله معجزات أنبيائهم كلها من المعجزات الحسية، أى خوارق مادية يرونها بأعينهم حتى لا ينكرون، فجاءتهم معجزات مثل شق البحر ورفع الجبل وعصا موسي والتابوت ومعجزة بقرة بنى إسرائيل ومعجزات سليمان وداوود عليهما السلام .. إلخ ذلك

وبمضي الزمان وباستبداد المادية البحتة ببنى إسرائيل، جاءهم سيدنا عيسي عليه السلام بديانة روحانية تماما، ومعجزات مرتبطة بالآخرة والقدرات الإلهية المطلقة حتى تلين قلوبهم القاسية، فجاءهم عيسي عليه السلام نفسه كمعجزة غير مسبوقة بغير أب، وأتاه الله معجزات مثل شفاء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وأحاديث المغفرة والجنة، وغير ذلك من الأمور التى ترقق القلوب، فآمن به بعض بنى إسرائيل وكفر بعضهم كالعادة، ولكن المؤمنين منهم أخذتهم الروحانية فبالغوا

فيها ورفضوا الحسيات جميعها حتى ما أحله الله، فاخترعوا الرهبانية المطلقة التى ترفض الحياة المادية وتغرق فى العبادة والتبتل وحدهما ..

ثم جاء دين الإسلام ليجمع الشتيتين فى تشريع كامل متكامل، فحرّم الله الرهبانية، ولكنه شرع الأذكار النبوية والأنس بالله واعتزال الناس عند الضرورة وعند خوف الفتنة،

وحرّم الإغراق فى أمور الدنيا ولكنه شرع التجارة والحكم والبناء والعمران، وحرم البدعة والإبتداع ولكنه أطلق حرية الإجتهاد فى الفروع تحت إطار الأصول، وحفظ الحرية الكاملة للإنسان، ولكنه فى إطار عبوديته لله وحده

من هنا نستطيع أن نفهم أن التشريع الإسلامى فى أصوله هو منهج الوسطية المتكامل للدين والدنيا معا، ولكنه فى نفس الوقت لا يقبل الأمور الوسط فى أحكامه القطعية فأنت إما ملتزم بها أو مفرط فيها, وكل هذا يدور فى إطار قاعدة عامة بالغة الإتساع

(الإجتهاد مباح متاح، ولكن فيما ليس به نص قطعى الثبوت وقطعى الدلالة)

* حكم وأمثال غير صحيحة ..

فن الحكمة والأمثال عند العرب من أقدم وأجمل وأرسخ ما أنتجته الحضارة وكونت له الجامعات أقساما كاملة تعالجه لأن الحكمة العربية الجاهلية ثم الإسلامية فيما بعد تميزت تميزا شديدا ولافتا عن سائر أنواع الأمثال فى بقية الحضارات، ويعود هذا إلى طبيعة اللغة العربية نفسها وثرائها الفاحش فى المترادفات والذى يمنحها دقة فى التعبير يستحيل تواجدها فى لغة أخرى،

وتعود أهمية الحكمة أو المثل إلى كونها تؤدى وظيفة مجلدات أو خطب كاملة عبر سطر واحد فقط لا غير، وتعود براعتها إلى أن مفاهيم الحكمة والأمثال يفهمها الناس جميعا ولا تحتاج العقل العالم أو الخبير وتجدها تبلغ الأثر وتحققه فى نفس السامع بأسرع وسيلة

وقد امتدت الأمثال حتى عصر قريب وبعد دخول العامية أيضا فحوت كتب التراث الشعبي كما هائلا منها والأجمل أن هذه الحكم فى معظمها عبارة عن ترجمة مختصرة لبعض القواعد والثوابت الأساسية فى الشريعة

لكن فى عصرنا الحالى دخلت على أبواب الحكمة والأمثال بعض العبارات التى تحمل تناقضا شديدا مع المعارف الثابتة

سواء كانت مفاهيم فى الشرع أو قواعد أخلاقية عامة أو حتى علمية ثابتة هذا بالإضافة لكونها ليست أمثالا أو حكما أصلا، لأن مؤرخى التراث كانوا أصحاب نقد واختيار وملكة فذة تجعلهم يميزون بين القول الذى يصلح كقاعدة أو حكمة وبين هراء الأقوال

وبالطبع لا نحتاج إلى نذكر أنفسنا بالقاعدة المعروفة أن مجال الأمثال كغيره من المجالات لا يصلح الإنتقاد فيه لمن لا يمتلك التأهيل لذلك وسبب قولى أن بعض الأصوات المعاصرة جنحت بها ملكة النقد التى نستخدمها لنقد أقوال مخالفة فعلا فإذا بهم ذهبوا بها إلى أمثال شهيرة ما تعرض لها أحد فى التراث بانتقاص، فلو كان فيها شيء لكان هؤلاء أول العارفين به لكن بسبب غياب الرسوخ العلمى حملنا بعض هذه الأقوال على غير محاملها ولا شك أن العيب فينا وفى خبرتنا القاصرة

أما الأمثال المقصودة بهذا المقال فهى عبارة عن كلمات رسخت فى الذهن المعاصر تحت تأثير الإعلام، وأفسدت برسوخها على الناس حياتهم بعد أن اعتبروها دستورا لحياتهم

ولهذا فيجب أن نتعامل مع الأمثال التى نسمعها بنفس تعاملنا مع الأقوال المختلفة فى أى علم، أن نستوثق مما نسمع وهل هو معتمد عند أهل الفهم أم لا، وإن انتابنا الشك فى مقولة فلنبحث خلف صحتها أولا فهذا البحث أجدى أنه سيحسم الموضوع مبكرا فلو كانت مقولة منتقدة أصلا فلا داعى لطرحها للنقاش أما لو كانت مقولة صحيحة فلنبحث خلف مقصودها الغائب عنا

وغالبا ما يكون السبب عدم تمييزنا نحن بين المعانى المختلفة فى اللغة العربية للكلمات التى نظن أنها مترادفات وتحمل معنا واحدا وهذا بالطبع غير صحيح

القصد ..

من أشهر الأقوال التى يستدل بها البعض على الناس تلك الكلمات التى تخرج من فم من استبد بهم الغضب، فتجرح عزيزا لهم أو صديقا وعندها لا يقبل الاعتذار على اعتبار أن كلمة الحق خرجت فى لحظة الغضب وأن الغضب كشف عن خبيئة نفس هذا الغاضب !!!

فتخيلوا أن كلمة غاضبة غير مقصودة تخرج من فم زوج لزوجته مثلا تعتبرها الزوجة قنبلة نسفت كل معروف بينهما اعتمادا على هذه المقولة المغلوطة أن الغضب يُـظهر خبيئة النفس !!

فهل هذا صحيح ؟!

بالقطع لا بل العكس هو الصحيح بلا جدال وعندنا فى الشرع قاعدة واضحة صريحة اسمها (لا طلاق فى إغلاق) ومعناها أن الإنسان الذى يستغلق وعيه لغضب عابر أو مؤثر خارجى يفقده رزانة عقله يسقط قوله عن الاعتبار بمعنى أن تصرفه أو قوله ـ مهما كان كبيرا ـ فهو والعدم وسواء ولا يمكن أن تكون كلمات الغضب تعبير حقيقي عن معتقد الإنسان أو طباعه الحقيقية ولهذا فالشرع أبطل طلاق الغاضب وأبطل يمينه أيضا

بل إن الله عز وجل كما ثبت فى القواعد النبوية لا يحاسب على أفعال الإنسان التى تحدث خارج إطار وعيه الكامل ولهذا

يرفع القلم عن الإنسان فى حالات الغضب والنسيان والإكراه

وإن كان هذا هو تعامل الله عز وجل معنا فكيف نحاسب بعضنا البعض فى هذه الحالات، وبأى منطق عتقد الإنسان أن رفيقه أو صديقه أو أخاه يضمر له الشر بدل الخير لمجرد كلمة غضب ؟!

ولو أن الله كان محاسبا إنسانا على أفعاله عند غضبه لكان من الأولى أن يحاسب نبيه ورسوله موسي عليه السلام، فعندما خرج موسي عليه السلام لميقات ربه بعد نجاتهم من فرعون حدثت فتنة السامرى عبد بنو إسرائيل العجل ووقف هارون حائرا حتى جاء موسي وفوجئ بأن قومه الذى نجاهم الله قبل أيام قد أشركوا بالله فى سفاهة عقل لا يصدقها أحد

فاستولى عليه غضب عارم وألقي ما بيده من ألواح التوراة على الأرض

فهل تعلمون يا رفاق طبيعة الألواح ؟!

هذه الألواح هى التى كتبها الله عز وجل لموسي أى أنها معجزة مباركة تحمل البصمة الإلهية وكلنا يعلم عاقبة إهانة المقدسات بأى فعل من أفعال التحقير أو الإهمال، ومع هذا فلم يحاسب الله موسي أو يعاتبه لأنه عندما فعل ذلك كان تحت سطوة غضبه، وغضبه هذا كان لله ويروى لنا القرآن أنه عندما سكن الغضب عن موسي عليه السلام أدرك ما فعل فأصلح الألواح وأعادها

ولهذا فينبغي التدقيق فى ما نسمع من حكم وأمثال قد تعجبنا كلماتها أو وقعها اللغوى ولكنها تحمل معرفة خاطئة فى الغالب

* المعانى الغائبة فى مكانة الصحابة ..

دعونا نعترف أن شيوع العامية منذ قرنين من الزمان جعل هناك حاجزا بيننا وبين اللغة العربية الفصحى بمعانيها الخفية،

فمعانيها الظاهرة يفهمها الكثيرون، لكننا نحتاج جهدا فى التأمل حتى ندرك ما وراء الظواهر، وأبرزها اللطائف الخفية فى القرآن والسنة والتى أبدع العلماء فى إخراجها على نحو جعل شرحهم للمعاني الخفية يستجلب آهات المستمعين، وهكذا هى اللغة العربية لا تنفذ عجائبها، وفى موضوع فضل الصحابة رضي الله عنهم، هناك العديد من الإشارات ..

أولا : سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ورد فى فضله أحاديث عدة أبرزها أن إيمانه يعدل إيمان الأمة بأكملها، فهل يا ترى ندرك ما المعانى خلف هذا، يكفي معنى واحد وهى أن أبا بكر رضي الله عنه تعادل مكانة (ثلثي أهل الجنة) !، تخيلوا !

نعم مكانة أبي بكر تعدل ثلثي أهل الجنة لأن الحديث الشريف ثبت فيه أيضا أن أمة الإسلام يوم القيامة وفى الجنة تعدل ثلثي أهلها من سائر الأمم

ثانيا : سيدنا عمر رضي الله عنه، قال عنه النبي عليه السلام أن الشيطان يفر منه ولو رآه فى طريق لسلك غيره، فتخيلوا بالله

عليكم موقف قرين عمر من الشياطين والمكلف بالوسوسة له !
لا شك أنه عاش يندب حظه كونه وقع فى جراب عمر

ثالثا : سيدنا عثمان رضي الله عنه، ثبت عن النبي عليه السلام أنه قال فيه أن الملائكة تستحي من عثمان، وهذه ليست مقولة بشري عادى وإنما هى وحى قطعا وخبر من آخر الرسل عليهم السلام، فهل نتخيل مدى هذه الفضيلة،

يكفي فى هذه الفضيلة وجود الملكين رقيب وعتيد المكلفين بكتابة الحسنات والسيئات وموجودون مع كل بشري، فتخيلوا إن أذنب عثمان ذنبا سيجد ملك السيئات حرجا وهو يكتب سيئة فى صحيفته حياء منه !

رابعا : إمام الأئمة على بن أبي طالب رضي الله عنه بكل فضائله التى لا تؤذن بحصر، وكونه فارس الإسلام الأول وقاضيها الأبرز وعالمها الجهبذ وابن عم النبي عليه السلام، ومن فضله النبي عليه السلام زوجا لابنته رضي الله عنها وأبو أحفاد بيت النبوة الذين بسببهم اتصل النسب الشريف، ورابع أربعة فى ميزان الصحابة، ورغم كل هذا قال عن عمر رضي الله عنه لما استشهد أنه ما تمنى أن يلقي الله بكتاب أحد من البشر إلا كتاب عمر بن الخطاب ..

هل ندرك معنى هذا ؟!

معناه أن هذا الإمام وهذا الجيل الراقي لا يتذكرون من أعمالهم شيئا إذا مدحوا بعضهم بعضا، ومعناه أن إنكارهم لذواتهم جعل كل منهم يري نفسه أصغر مقاما من الآخر، رغم أنهم أعمدة رسالة الإسلام كلها !،

وسجل أعمالهم يخلو تماما من كل ذنب متعمد أو خطيئة يصر أحدهم عليها، ورغم هذا لم يضبط أحدهم متلبسا مرة واحدة بتزكية نفسه أو ذكر أعماله الجليلة أو الإعتزاز ـ مجرد الإعتزاز لا الفخر ـ بشيء وفقه الله لهم !

ويأتى بعد ذلك فى تاريخ الإسلام من يجعل نفسه بين رفاقه سبب نجاتهم كما لو كان نبيا مرسلا !

* سؤال وجواب عن الرجل العناب !!

سؤال : حضرتك سمعت ما قاله د. يوسف زيدان فكيف ترد عليه ؟!

جواب : قال ايه معلش

سؤال : قال إن ما يكتبه وينتجه من أفكار وكتابات يعجز عنها كل العرب من المحيط إلى الخليج أن يأتوا بمثلها

جواب : لقد أخطأ الدكتور المحترم وظلم فصيلا مهما جدا يشاركه هذا الإنتاج الذى يعجز عنه كافة مفكرى العرب

سؤال : من هو هذا الفصيل ؟!

جواب : عنبر الحالات الخطرة بمستشفيات الأمراض العقلية، فكلهم يأتى بأفكار وأقوال من عندياتهم لم يسبقهم إليها سابق

سؤال استنكارى : يا أستاذ هذه إهانة وليست ردا علميا والمفترض أن ترد ردا علميا على ما قاله

جواب : إهانة ايه يبنى انت، واحد طالع يقول إنه اللى بيكتبه يعجز عن مثله كافة المفكرين من المحيط إلى الخليج نرد عليه علميا إزاى ده، ثم ما هو مبرر قوله، يعنى ما هو دليله على أن كتاباته تستحق هذا الوصف ؟!

سؤال : قال إنه فى رواياته الثلاث أبدع إبداعا غير مسبوق حيث تكون نهاية كل رواية بداية لفكرة الرواية التى تليها

جواب : لا يا شيخ، هو ده التفرد، تفرد ايه ده، طيب ما أعداد ميكى ماوس وروايات نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق سبقوه فى ذلك من زمن بعيد !!

سؤال : طيب كيف ترد على قوله بأن المسجد الأقصي بناه عبد الملك بن مروان

جواب : انت تعرف قلعة صلاح الدين المشهورة بالقاهرة

سؤال : نعم اعرفها !

جواب : لو أنا طلعت قدامك دلوقتى وقلتلك انه اللى بنى قلعة صلاح الدين هو محمد على باشا، بدليل إنه علامة القلعة المشهورة هي مسجد محمد على المبنى فى ساحة القلعة

سؤال : إزاى اسمها قلعة صلاح الدين ويبقي اللى بناها محمد على، وبعدين محمد على بنى المسجد فى القلعة اللى كانت مبنية قبله بألف سنة

جواب : شفت بقي، اهو انت بنفسك اعترفت فى الآخر انه صاحبك عنده خلل عقلي لأنه عمل كده بالزبط، راح لمسجد قبة الصخرة اللى بناه عبد الملك بن مروان فى باحة الأقصي وصور للناس على إنه هو ده المسجد الأقصي المبنى من عهد سليمان عليه السلام !

سؤال : طيب كيف ترد على اتهاماته بأن صلاح الدين لم ينتصر فى معركة حطين ولم يحرر القدس بالتالى !

جواب : اهو ده بيفكرنى باللى قال إنه مصر انهزمت فى حرب أكتوبر، اللى يقول كده انت ترد ازاى عليه بالمنطق

سؤال : أرد ببساطة أقول إنه قبل حرب أكتوبر كانت سيناء محتلة من إسرائيل وبعد الحرب وكنتيجة للإنتصار تحررت سيناء، ولو كانت إسرائيل منتصرة لظلت فيها، هذا فضلا على إنه إسرائيل نفسها اعتبرت حرب أكتوبر نكسة لها

جواب : ده جواب الناس العاقلين طبعا، وهو نفس الرد اللى ترده على صاحبك لما تقله بلاش مصادر التاريخ العربي خالص، ارجع لمصادرك حبايبك فى الغرب الذين كتبوا وصنعوا أفلاما بالمئات عن انتصار صلاح الدين وطرده للصليبيين من القدس بعد احتلال طويل، واساله بقي تاريخ العرب المكتوب وتاريخ الغرب المكتوب من لدن عصر صلاح الدين لليوم اتفقوا على إنه صلاح الدين طرد الصليبيين وشتتهم فى موقعة حطين، فسعادتك جبتها منين الهزيمة دى ؟!

سؤال : طيب ترد بايه على قوله إن صلاح الدين أحقر شخصية فى التاريخ الإسلامي ؟!

جواب : على فكرة فيه واحد قال على أبوك إنه مشيه بطال وبيتاجر فى المخدرات

سؤال : جرى ايه يا أستاذ، ايه قلة الأدب دى وايه علاقة ده بحوارنا، وبعدين انت تعرف أبويا منين

جواب : سبحان الله !، زعلان قوى انى افتريت على ابوك بدون مبرر وشايف إنه منطقي انك ترى قول يوسف زيدان قولا يستحق الرد،

يبنى قالها العرب قديما (الحق ما شهدت به الأعداء) والغرب الصليبي نفسه عبر القرون لم ينبهر ويمدح مضطرا

شخصية فارس في الإسلام قدر ما مدح خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي والحاجب المنصور، رغم أن الثلاثة هدموا عروش أوربا فى زمانهم وجعلوهم عبرة، لكن إعجاب الغرب بعبقريتهم وتفانيهم وأخلاق الفرسان بهم طغت حتى على أحقادهم تجاه تلك الشخصيات فأنصفوها،

فما بالك بأن يكون حقد العدو الأصلي أقل قدرا بمراحل من حقد رجل يزعم أنه باحث ومفكر مسلم يمارس وظيفته فى المجتمع على هذا الأساس !!

* حتى نفهم قضية إيران من البداية (١)

من المستحيل استيعاب أى قضية معاصرة بدون جذروها التاريخية، وإلا لن نستطيع أن نفهم الأحداث المعاصرة، كيف ولماذا حدث ما حدث ..

الواقع يقول أنه بعد حرب مستعرة بين العرب وإيران ممتدة من عام ٧٩، وتعتبر هذه الحرب هى الجولة الأخيرة أو المعاصرة للصراع بين أهل السنة والشيعة ممثلين بإيران منذ عهد الصفويين،

واقع هذا التاريخ يقول أن إيران هُـزمت فى كافة معاركها مع العرب ـ رغم اختلاف الجبهات ـ منذ أن نجح الصفويون فى تشييع إيران بقوة الإرهاب المسلح، وهم يهاجمون العرب من بوابة العراق فى حروب مستميتة امتدت حتى الشمال الإفريقي وحاربتهم فى البداية الخلافة العثمانية، ثم دولة العراق المستقلة بعدها ثم العرب جميعا أثناء الحرب العراقية الإيرانية التى هزمت بها إيران الخومينى،

ومنذ عام ٩٢ انقلبت الآية تماما

كان الخومينى شيطانهم الأكبر متهورا جدا فى سياسة نشر التشيع، ويتميز باندفاع وحقد هائل تسبب فى هزيمته فيما بعد،

بعد أن خسرت إيران الكثير جدا فى حروبه المسلحة والحروب الإرهابية التى امتدت لمحاولة تفجير الحرم المكى فى موسم الحج!

وكان العرب جميعا خلف صدام حسين فى حربه العادلة ضد أطماع الخومينى، وبدا أن هزيمته أمام العراق تؤذن أخيرا باستسلام إيران مرحليا وانهيار نظام الملالى، كما أن مصر فى عهد مبارك نجحت فى إفشال كافة مخططات إيران لاختراق مصر على مستوى الأمن القومى وأيضا على المستوى الفكرى (وهذه من حسنات مبارك غير المعلنة)

وكعادتنا نحن العرب فى الإنتصارات نُصاب بصدمة إحباط مفاجئة لكل الجهود، فليس لنا صبر ودأب كأعدائنا، هذا فضلا على أننا أثبتنا ـ أيضا كعرب ـ أننا أفظع من يتناطحون على الغنائم وأشرف من يتوحد فى المصائب !

فلدينا إنكار ذات عجيب وهمة عالية جدا فى مراحل الكوارث والخطر، ولكننا فى مراحل البناء والمكاسب ننقلب للنقيض بعكس إيران وإسرائيل،

فكلاهما يتميز ويتفوق علينا فى الصبر والدأب المذهل، والإصرار على تحقيق الأهداف عن طريقة المعادلة المعروفة (الفشل ما هو إلا تجربة للنجاح)،

وهو ما نفذته إسرائيل منذ عام ٤٨ وحتى اليوم كدولة لم تعترف بها معظم دول العالم ثم أصبحت من أقواهم الآن، وما نفذه نظام الملالى بعد انتهاء حربه مع العراق حيث كان المستفيد الأكبر من حماقة حرب الكويت التى لا يمكن أن نقول أن صدام وحده مسئولا عنها بالطبع،

تخيلوا أنه بعد انتصار العراق ومن خلفه العرب لم تلبث إيران إلا عامين وشاهدت خصمها التاريخى يتمزق توحده أمامها دون مبرر مفهوم، ثم كانت الطامة الكبري بمهزلة حرب تحرير الكويت التى دمرت الجيش العراقي كله، والعراق كله فيما بعد، لتكون أول المكاسب الإيرانية العملاقة فى عقد التسعينيات،

ثم جاءت الطامة الثانية تمثل نصرا سياسيا وعقائديا هائلا لإيران عندما استدعى العرب القواعد العسكرية الأمريكية إلى الخليج بشكل دائم، لتقوم إيران ـ منذ ذلك الحين ـ باستغلال هذه السقطة الملعونة كى تثبت لشعبها أولا وللعرب من الشيعة وأيضا للمتعاطفين معها من عرب السنة أنها بالفعل دولة تحارب أمريكا وإسرائيل بينما العرب يدعون أنهم يحاربونها وهم تحت حمايتها إقتصاديا وعسكريا !!

كانت تلك الضربة السياسية بمثابة قبلة الحياة لإيران كدولة شيعية فى الأساس لأن علماء السنة ـ بالتحديد من السلفية ـ قاموا بجهود تاريخية عملاقة امتدت منذ ثورة الخومينى وحتى مطلع الألفية الجديدة، تمثلت هذه الجهود فى ردود علمية وبرامج ومناظرات كسبوها جميعا بالضربة القاضية، وعجز الشيعة وكل علمائهم وأساطينهم عن أن يكسبوا مناظرة واحدة منهم وانضم لأهل السنة نتيجة لذلك عدد كبير جدا من شيعة العرب حتى اضطرت إيران لاغتيال عدد من رموز علمائنا إثر ذلك

فلم تجد إيران حلا لحماية نشر التشيع إلا قلب ميزان المعركة من معركة عقائدية ـ خسروا فيها على طول الخط ـ إلى معركة سياسية كسبوها على طول الخط،

والدليل على هذا أنهم لعبوا على وتر عمالة العرب لأمريكا فنجحوا فى نشر (التشيع السياسي) كبديل (للتشيع العقائدى) فى أوساط كبار الصحفيين والكُـتاب بل وبعض علماء السنة الكبار أيضا ليجعلوا من هؤلاء مصدر للنيران الصديقة عانينا منه بشدة بسبب أن بعض هؤلاء الكتاب والصحفيين لم يكن عميلا بالمعنى الحرفي يؤدى وظيفته مقابل المال بل كان متعاطفا ومؤمنا بالفعل أن إيران دولة تدافع عن قضايا الإسلام ضد الهيمنة الأمريكية !!!

كل هذا كان فى حقبة التسعينات وبداية الألفية الجديدة، والمقال القادم سنعرض فيه كيف تمكنت إيران ـ دون جيش ـ من اختراق أكثر من عاصمة عربية ونشر الإرهاب فيها ..

* لماذا انتصرت إيران رغم خسائرها، وخسر العرب رغم انتصارهم (٢)

استكمالا للمقال السابق، دعونا نرى كيف تعاملت إيران مع الأحداث المحورية عالميا فى بداية تسعينات القرن العشرين وكيف تمكنت بالاستغلال السياسي فقط من تحقيق مكاسبها الحالية بعد عشرين عاما من العمل الدءوب لتفتيت العرب،

مع ما حدث من تدمير الجيش العراقي وحصار العراق، قامت إيران ـ رغم خسارتها لحربها السابقة ـ من العمل على استراتيجية منظمة ومخطط لها بدقة تتمثل فى الخطوات التالية ..

أولا : اعتقد العرب أن القواعد العسكرية الأمريكية ستكفيهم شر الخطر الإيرانى وغامروا فى سبيل ذلك بأن يعطوا إيران حبلا غليظا شنقوا به كافة جهود علماء السنة فى مكافحة عقائد التشيع الخبيثة والإختراق العقائدى للدول العربية، عن طريق التشيع السياسي الذى جعل كل من يناصر إيران يناصرها بجرأة باعتبارها تتصدى للحصار الأمريكى عليها فى التجارب النووية، فى حين أن العرب يقبعون تحت حمايتها

وهو ما سبب حرجا لكل من ينتقد إيران حتى على المستوى العقائدى

ثانيا : استفادت إيران جيدا من تجربة العراق فى إنتاج الأسلحة النووية حيث أخطأ صدام بإنشاء مشروع مفاعل (أوزيراك) فى مكان واحد، فضربته إسرائيل بالطيران وقضت على المشروع قبل أن يثمر واغتالت العالم المصري يحيي المشد فى باريس ليتعطل المشروع مستقبلا، فقامت إيران بتوزيع المواقع النووية توزيعا جغرافيا واسعا فضلا على تأسيس المجال العلمى المستقل لإيران واستقطاب علماء الذرة الروس الذين هربوا بعد انهيار الإتحاد السوفياتى ليكرروا نفس تجربة عبد الناصر الذى استقطب علماء الألمان فى الخمسينيات لإنشاء مشروع الصواريخ المصري،

فتسبب ذلك فى أن المشروع النووى الإيرانى تقدم بسرعة قياسية جعلت أمريكا وإسرائيل يتلاعبون بالمفاوضات معها خوفا من جنون الإيرانيين وهو نفس الوسيلة التى تتعامل بها كوريا الشمالية وتجعل أمريكا مترددة فى ضربها،

هذا طبعا مع الوضع فى الإعتبار أن العرب اكتفوا من انهيار الإتحاد السوفياتى باستيراد الراقصات وفرق البلشوى وهذا أقصي ما استفاد به العرب من انهيار السوفيات

ثالثا : خططت إيران بدأب وباستخدام (التقية) للإختراق المنظم غير المحسوس فى دول الخليج ومصر والشمال الإفريقي بحيث تتكون جاليات شيعية بشكل سري وعندما تنمو يكون لها ثقل المطالبة بالحقوق السياسية وهى اللعبة التى نجحت فى الخليج فعلا ولكنها فشلت فى مصر رغم الجهد والنفقات بسبب انتباه أجهزة الأمن القومى المصري لذلك ومعرفتها التامة بأسلوبهم منذ عام ١٩٨٠ م،

رابعا: طورت إيران منظومة التعليم التكنولوجى والثقافي بحيث أصبح لها صوت مسموع من الناحية الإبداعية مستفيدة من التجربة الهندية فى ذلك حتى أصبح لإيران أفلام تتقدم لجوائز الأوسكار سنويا لأحسن فيلم من خارج أمريكا

خامسا : وقد كانت أخطر وأخبث خطوة فى الحقيقة،

فعندما فشلت سياسة نشر التشيع فى مصر والجزائر وتونس والمغرب ولم تنجح إلا مع العشرات فقط الذي أصبحوا كروتا محروقة، لجأت مع بداية عام ٢٠٠٠ م، لأسلوب جديد وهو أسلوب التجنيد المباشر لإعلاميين وكتاب وقنوات فضائية بمبالغ مهولة ولم يستخدموهم لنشر التشيع بل طلبوا منهم ما هو أقل من هذا بكثير لقاء أموال طائلة،

وهذا الطلب يتلخص فى أن يتخصص هؤلاء الإعلاميون والكتاب فى ما يسمى بتجديد الخطاب الدينى وتصحيح التاريخ الإسلامى وحددوا لهم مراحل معينة وشخصيات بعينها لتكثيف الهجوم عليها إعلاميا وهم مجموع الصحابة عدا الإمام علىّ، وشخصية صلاح الدين الأيوبي وهارون الرشيد والإمام الشافعى والبخارى ..

وقبل أن تتساءلوا ما الهدف من الهجوم على هذه الشخصيات تحديدا، فالهدف هو أن الهجوم وتدمير التراث السنى سيتحقق بسهولة إذا هدمنا هذه الشخصيات تحديدا ..

وسيكون الهجوم مؤثرا عندما يكون على لسان إعلاميين وكتاب محسوبين على السنة ويعلنون أنهم ليسوا شيعة وهذا هو نفس أسلوب المستشرقين فى اختراق الإسلام بأقلام مجندة،

أما لماذا وقع التركيز على هؤلاء ؟!

فببساطة لأن السُنة مبنية على الصحابة والطعن فى الصحابة كمصدر للقرآن وللسُنة يهدم المصدرين قطعا فى نفوس الناس عندما يتشككوا فى أمانة الناقلين،

وصلاح الدين وهارون الرشيد كلاهما كان له دور كاسح فى استئصال الشيعة وأنصارهم، فقد طردهم صلاح الدين من مصر وفتك الرشيد بالبرامكة الفرس قبل أن يسيطروا على الخلافة تماما وينهون وجود العنصر العربي ،

أما البخارى فلأنه إمام أهل الحديث، وعلم الحديث أكبر عائق أمام نشر التشيع، لأنه العلم الذى حفظ القرآن والسنة ونقله للناس عبر القرون بالضوابط الجبارة التى صاغها علماء الحديث لذلك، وهدمه دوما كان هدفا محوريا للمستشرقين وأهل البدع وعلى رأسهم الشيعة

وأما الشافعى فهو أيقونة علم أصول الحديث ومؤسس أصول الفقه أيضا، وبغير علوم الأصول تتشتت الفتوى وتصبح مطمعا لكل حاقد

وبالتالى عندما تهدم هؤلاء وتجعل الصحابة والتاريخ الإسلامى الناصع ملوثا فى عيون عامة الناس يسهل بعد ذلك أن تجرهم لمصيدة التشيع دون أن تجد ممانعة كبيرة كما كان فى السابق..

وللحديث بقية..

* العرب وإيران (٣)

ونتابع تسلسل الصراع بيننا كعرب وبين إيران، ونحاول أن نفهم كيف انتصرت إيران رغم مقومات الخسارة، وهزم العرب رغم مقومات النصر ..

* سيقف التاريخ عاجزا حقيقة عن فهم كيفية نجاة النظام الخمينى فى إيران من كارثتين كان من المفترض أنهما فرصة باهرة لتقويض حكم الملالي، فرصتان كانتا بيد العرب دون جهد على الإطلاق، ومع ذلك فالمفاجأة الصاعقة هى أن العرب أنفسهم فى كلا الفرصتين كانوا هم الذين منحوا إيران خط النجاة، بل وخط مكاسب قلب فرص الخطر إلى فرص نصر مؤزر تعيش عليه إيران لليوم،

أول فرصة كانت بعد هزيمة إيران من العراق حيث تلاها مباشرة انهيار الإتحاد السوفياتى الذى كان يمثل درعا حاميا لإيران ضد أمريكا، وبالعلاقات العسكرية والإستراتيجية الهائلة بين أمريكا والعرب جميعا كان من الممكن أن تكون معركة بوش الكبري التى يبحث عنها الأمريكان ضد إيران بدعم عربي يمكنهم من إسقاط نظام الملالي،

ولكن بدلا من ذلك وبمنتهى الفُجر والغباء السياسي تعالت أصوات الخصومة بين صدام والخليج وتجددت من جديد

أحاديث أطماع صدام فى الكويت وقابلها الخليج كله بعداوة مماثلة، لتنفجر الأوضاع فجأة ويتم التحالف العربي الأمريكى ضد العراق بدلا من إيران !،

واكتفت ساعتها إيران بالمشاهدة واستغلال اشتعال الأمور لتمضي بسرعة البرق فى برنامجها النووى قبل أن ينتبه لها أحد، واكتفت بتوجيه الشكر للعرب من أعماقها على أنهم حجبوا عنها الشبح الأمريكى ثم حققوا لها جميل العمر بأن انتقموا من الجيش العراقي الذى انتصر عليهم ودمروه عن آخره وقوضوا قوة العراق لتخرج من معادلة الصراع أصلا !

* الفرصة الثانية كانت فى بداية الألفية الجديدة وأيضا مع آل بوش، وجاء أغبي رئيس أمريكى وهو بوش الإبن والذى لا يمانع فى عداء إيران سياسيا لتحقيق مكسب انتخابي، ولكن كانت إيران بتحالفاتها الإقليمية سرا مع إسرائيل ودوائر صنع القرار الأمريكى أذكى وأخبث ألف مرة من العرب،

لهذا تحركوا واستفادوا من جبهتين،

الجبهة الأولى :

فى إعادة التحالف مع الروس الذين اسيقظوا مجددا ونجحوا فى بناء علاقة استراتيجية متجددة دون أن يستفزوا العلاقات مع الأمريكان لدرجة العداوة،

والجبهة الثانية

تكفل بها العرب للمرة الثانية لخدمة إيران حيث شجعوا بوش ودعموه كامل الدعم ـ رغم المعارضة الظاهرية ـ ووفقا لما كشفه بوب وودورد فى كتابه الصاعق (خطة الهجوم) لم يكن

العرب موافقون فقط على سحق العراق ونظام صدام، بل كانوا مشجعين وداعمين أيضا ..

ومن ناحيتها لم تقصر إيران فى استغلال الفرصة فتحركت عبر ميلشياتها لتخبر الأمريكان باستعدادها الكامل مع شيعة العراق لتأمين الخطوط الخلفية للجيش الأمريكى ليكون دخوله للعراق أشبه بنزهة، وهو ما تم فعلا حيث قامت قوات فيلق بدر الشيعية بالتمركز مع خطوط الجيش الأمريكى الداخل من جهة الكويت،

ولأن إيران ليست كالعرب يقدمون الخدمات مجانا لأمريكا،

ونكرر لأن إيران ليست مثلنا كعرب تقدم الخدمات حتى ضد مصالحها ومجانا، فقد كان الإتفاق واضحا مع الجيش الأمريكى أن مقابل تلك المساعدات اللوجستية والعسكرية التى وفرت جهدا كبيرا على الأمريكان، يكون المقابل منح إيران حق إدارة العراق بالوكالة، فضلا على أهم بند فى الإتفاق وهو حق الشيعة فى إعادة التقسيم الديموغرافي للعراق وهو ما تحقق بالكامل،

فالسنة أغلبية كاثرة فى العراق والشيعة قلة موزعون على عدة مناطق فتم تغيير تقسيم السكان بالكامل ودخل شيعة إيران بالآلاف وتم تهجير الآلاف من السنة من مناطقهم بالقوة المسلحة ليسيطر الشيعة على العراق تماما سواء من ناحية الحكم والجيش أو حتى من حيث التمركز الجغرافي، وهذا هو السبب الرئيسي بل والوحيد الذى أتاح لإيران منذ عام ٢٠٠٣ ميلادية المضي قدما فى تهديد الأمن القومى العربي فى الخليج واليمن وسوريا وحتى فى مصر ..

ناهيكم عن أن المكاسب المادية من حربها مع الأمريكيين والتحالف العسكري مع الروس أتاح لها أن تصبح القوة الإقليمية الكبري التى لا يمكن أن تغامر أمريكا ـ حتى لو أرادت ـ بأن تهاجمها فى حرب صريحة لأن إيران كما قلنا أصبحت مثل كوريا الشمالية، قوة هائلة يملكها مجنون، ولو أن جنون كوريا ظاهر إعلاميا إلا أن الإيرانيين تعلموا من اليهود الخبث والإخفاء

ناهيكم أيضا عن مصية كبري تثبت أن السياسة الإيرانية وحدها ـ السياسة فقط دون أى شيئ آخر ـ وحسن إدارة الملفات مع القوى العظمى أتاح لها أن تكون صاحبة جسور تعاون مع الروس والأمريكان معا، فمثلت للولايات المتحدة الحليف المسيطر على العراق والضامن لنفط وثروات العراق أمريكيا، هذا فضلا على تحالفها مع الروس وتجارتها بالهجوم الغربي على برنامجها النووى لتأخذ من الروس أحدث منظومة دفاع جوى فى العالم (s400) والتى لم يعطها الروس إلا لكبار حلفائهم

ويكفي هذا المقال وحده لنرى كيف أن العقل السياسي وحده وبحسن إدارة الملفات بعيدا عن المنافع الشخصية يستطيع أن يقلب هزيمة أى بلد إلى نصر ساحق

* كيف سينهار النظام الإيرانى فجأة ! (٤)

فى المقالات السابقة تعرضنا للنجاحات المتتالية التى حققتها إيران منذ عام 1992 وحتى اليوم، وختمتها بالسيطرة على أكثر من عاصمة عربية، ومن يشاهد نجاح إيران فى تهديد الأمن القومى العربي وضبط أمورها مع الغرب وتدميرها لأهم معاقل السنة وسيطرتها التامة على العراق وهى عدوها التاريخى وتهديها الخليج سياسيا وعسكريا،

من يري ذلك يتصور أن المعركة انتهت وأن الطاووس الإيرانى فرد أجنحته ولن يطويها قبل خمسة قرون،

لا سيما وأن العرب انهزموا سياسيا أمامها فى كافة المعارك طيلة أكثر من ربع قرن، لكن الصورة الحقيقية تعكس الجانب المضاد تماما !،

فأى نعم أحوال العرب عسكريا وسياسيا لا تشي بأنهم سيحققون شيئا فى مواجهتها لكن الصورة من الداخل الإيرانى تحمل فى طياتها أسباب الانهيار، والانهيار التام المفاجئ أيضا،

نظام الملالى فى إيران لن يكون انهياره بالتدريج، بل سيحدث الانهيار لحظيا وبشكل مدمر وقد تتخلف عنه حرب أهليه تأكل الأخضر واليابس، لأن إيران رغم تفوق سياستها الخارجية لأقصي حد إلا أن سياستها الداخلية عكس هذا تماما،

وللأسباب التالية :

أولا : نجح علماء العرب وباحثيهم ومفكريهم من كافة التيارات (خاصة التيار السلفي)، وبالجهود الذاتية فى الأغلب الأعلم، نجحوا فى أن يهزموا إيران عقائديا هزيمة ساحقة ظهرت آثارها بشدة منذ عام 2002 عندما انتشر استخدام الإنترنت وغزو الفضائيات، ورغم أن إيران تخصص 5 % من دخلها تقريبا لنشر التشيع وهو مبلغ فلكى وخرافي، إلا أنه لم يُغـن شيئا،

ورغم استغلالها للإنترنت وعشرات القنوات الفضائية لنشر التشيع ارتد عليها هذا الأمر ردة عكسية عندما تخصص عدد من العلماء والدعاة فى الشأن الشيعي وجهوا نشاطهم لهذا الملف وناظروا الشيعة عقائديا باستخدام كتب الشيعة الأصلية التى كانت مخفية وأشبه بالقبو المغلق، فنشروها للناس عبر الإنترنت والفضائيات لتخسر إيران قواعدها الأساسية وتعاطف العوام معها ويدخل الآلاف من الشيعة إلى أهل السنة بعد أن تم تدمير مبدأ (التقية) الذى كان يستخدمه الشيعة طيلة القرون السابقة وبالطبع ساعد الإعلام فى كشف حقيقة معتقداتهم،

وبالتالى خسروا كثيرا من عوام الشيعة أنفسهم لأن العوام لا يعلمون أغلب ما فى بطون مراجع الشيعة التى يتم تداولها فى الحوزات العلمية فقط

ثانيا : لجأت إيران إلى سياسة إسرائيل فى بداية تكوينها،

فعندما رفض بعض اليهود الهجرة لإسرائيل قام اليهود أنفسهم بتدبير انفجارات وحوادث اغتيال لهؤلاء الرافضين ونسبوها للمسلمين كى يشعر الرافضون بالرعب وعدم الأمن

فيقرروا الهجرة، وبالفعل لجأت إيران بعد هزيمتها أمام العلم والعقيدة إلى تفخيخ وتفجير عدد من التجمعات والمراقد الشيعية فى العراق ليستفزوا العصبية الشيعية فى نفوس العوام ضد المعتقد السلفي السنى،

لكن المشكلة أن هذا التدبير انكشف أمره عبر الحمار الشيعي المعروف ياسر الحبيب [٥] وغيره ممن يعارضون نظام الملالى فى عدة أمور ففضحوا بعضهم البعض فزادت النقمة عليهم من داخل الشيعة أنفسهم

ثالثا : إيران فى الداخل ممزقة لأنها بها ثلاثة أجناس مختلفة فى كل شيئ، والشيعة فى إيران لا يمثلون أكثر من خمسين فى المائة، بينما الأكراد والسنة والبلوش لهم تمركزات عديدة وكلها تتعرض لأبشع التنكيل بالذات إقليم الأحواز العربي الذى تبلغ مساحته مساحة الأردن ولبنان وفلسطين معا، وفى نفس الإقليم يوجد شيعة بين العرب لكنهم يحاربون نظام الملالي بضراوة لدرجة أنهم كونوا جبهة موحدة مع أهل السنة فى مصر والخليج وأوربا لدعم انفصال الأحواز، هذا فضلا على دعوات فصل البلوش السنة فى شمال إيران، وهذا التمزق الداخلى يعالجه النظام الإيرانى بالقهر التام، والقهر عبر التاريخ كله دائما ما يؤدى فى النهاية إلى إنهيار فادح مهما طال الزمن

رابعا : بقدر مكاسب إيران فى اجتياح العراق إلا أنهم كانوا أغبياء للغاية فى التعامل مع شيعة العراق،

(٥) داعية شيعي كويتى هارب فى لندن وأسس لنفسه قناة فضائية يبث سمومه عبرها ولكنه من أغبي دعاة الشيعة على الإطلاق حيث دأب على إنتقاد النظام الإيرانى علنا بكشف مؤامراتهم على الشيعة أنفسهم !

وتجاهلوا أن شيعة العراق كانوا متزاوجين مع أهل السنة فى عشائر واحدة، وعندما حدثت محاولات الفصل بالقهر جعل هذا التصرف ولاء الشيعة والسنة معا ضد النظام الإيرانى بغض النظر عن الإتفاق فى العقيدة الشيعية لا سيما وأن الضحايا من العشائر تجاوزا الآلاف، ويمثل أهاليهم قنبلة موقوتة تنتظر لحظة التفجير

خامسا : فى الداخل الإيرانى عموما سبب هام للغاية قد يكون ـ على المدى الطويل ـ سببا فى انهيار داخلى، فنسبة مرض الإيدز ـ عياذا بالله ـ بين الإيرانيين بلغت حدا مأساويا بسبب زواج المتعة فبلغت نسبة الإصابة فى النساء 35 % وفى الرجال 65 %، وعدد المسجلين بالمرض لا يبلغ عشرة بالمائة، بخلاف أن إيران تحمل أعلى نسبة فى الأطفال الغير شرعيين والمصابين بالإيدز بنسبة مائة طفل كل عام، وكعادة الحكومات القمعية لا تعترف إيران إلا بنسبة ضئيلة بينما المسح الصحي من منظمات عالمية وداخلية يكشف الحقيقة، وهذا الموضوع يثير ضجة عالمية منذ قرابة عشر سنوات، ولنا أن نتخيل أثر هذا الوباء على دولة طائفية بالأساس لا يجتمع شعبها على ولاء واحد [٦]،

لهذه الأسباب كلها، ستدفع إيران دماء الملايين الذين تسببت فى قتلهم وتهجيرهم فى العراق وسوريا واليمن ودون حتى تدخل خارجى أو حرب مباشرة عليها ..

---

(٦) ـ هناك تفاصيل أكثر عن هذا الملف فى كتاب (الشيعة والمتعة) للباحثة الشيعية شهلا الحائري حفيدة أحد أكبر مراجعهم وكتابها يعتبر شهادة حية من الداخل

المؤلف

د . محمد جاد الزغبي
شاعر ومفكر مصري
الإقامة / مصر ـــ القاهرة
الإيميل
هاتف / ٠١٢٧٤٧١٥٤٢١

* دبلوم تخصص فى الشريعة الإسلامية من قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة عين شمس
* ماجستير الشريعة والقانون الخاص من كلية الحقوق ـ جامعة عين شمس،
* له برنامج أسبوعي منتظم بقناة (صفا) الفضائية يهتم بالقضايا الدينية والتاريخية
* له لقاء شهري منتظم بقناة (أحوازنا) الفضائية التى تهتم بمعالجة النشاط الإيرانى الموجه ضد الدول العربية
* كاتب صحفي مستقل فى قسم الإسلام السياسي بجريدة (الجمهورية)
* له مقال شهرى منتظم بجريدة (السفير العربي)
* مستشار تدريب صحفي بالمنظمة العربية للتدريب (TOHARD)
* مدير موقع وشبكة العز الثقافية السعودية، ورئيس تحرير مجلة (العز) التابعة للشبكة خلال الفترة من ٢٠٠٧ حتى ٢٠١١
* مستشار صحفي لمجلس إدارة شبكة منابر ثقافية
* تم إنشاء صفحة خاصة بكتبه فى مجال الدراسات الإسلامية فى المكتبة الرقمية التابعة لجامعة (المدينة العالمية) بماليزيا
* أورد الناقد الأدبي الكبير الدكتور عبد السلام البسيونى سيرته الذاتية بفصل خاص من كتابه

(شعراء البردة النبوية عبر التاريخ)، واختار قصيدته المطولة (فى معارضة البردة) وتم نشرها بالكتاب مع سيرة ذاتية مختصرة له

الكتب المطبوعة :

(١) ديوان شعر مطبوع بعنوان " التراتيل الأولى " صدر عن دار إشراقة للطبع والنشر عام ٢٠٠٠ م

بتقديم ودراسة الشاعر والناقد شوقي أبو ناجى وتمت مناقشته ضمن فعاليات دار الأدباء بالقاهرة برعاية الشاعر الإسلامى محمد التهامى .. وكتب عنه عدد من النقاد الكبار بمصر مثل الأستاذ الدكتور بدراوى زهران ـ رحمه الله ـــ والشاعر مؤمن الهباء والناقد حزين عمر والدكتور فتحى عبد الفتاح والشاعر الوردانى ناصف والشاعر شوقي أبو ناجى رحمه الله

(٢) حدائق الإيمان فى حرب رمضان

كتاب عن حرب أكتوبر بتحليل وتوثيق ونظرة جديدة فيه رد على كافة الإتهامات التى تم توجيهها للحرب للتقليل من شأنها، وقد تم نشر الكتاب كبحث مستقل فى شبكة الدفاع العربي ومواقع الإنترنت قبل أن يتم تجهيزه ككتاب تحت الطبع حاليا :

والكتاب سيكتب المقدمة له كل من السيد اللواء متقاعد أحمد سعد الدين ـ أحد أبطال الحرب

والسيد اللواء أحمد مأمون والسيد اللواء خليفة إسماعيل خبراء الأمن القومى

(٣) الفريضة السادسة (مقالات منوعة)

صدر عن دار نوستاليجيا للطبع والنشر ـ يناير ٢٠٢٠

(٤) كيف ترد الشبهات بالحوار العقلي وحده ــ دار يسطرون للنشر والتوزيع

وصدر الكتاب فى معرض الكتاب ـ يناير ٢٠١٨ /، وهو كتاب حوارى وبحثي مطول للرد على اتهامات وشبهات جماعات الإرهاب بأسلوب الحوار المبسط اعتمادا على منهج الفلسفة الإسلامية فى رد الشبهات،

والكتاب كتب له المقدمة الدكتور ناجح إبراهيم والكاتب الصحفي بالأهرام

هشام النجار

(٥) أحقا قد مضت عشرون عاما (ديوان شعر) ــ صدر عام ٢٠١٩ عن دار (نوستاليجيا) للنشر والتوزيع

(٦) السطر الأخير فى ملف أشرف مروان ـ صادر عن دار غراب للنشر والتوزيع ـ صدر في يناير ٢٠١٩, وهو كتاب بحثي شامل لقضية البطل المصري الراحل أشرف مروان

(٧) كتاب صقر سيناء عبد الله الجندى

(يروى قصة الشهيد البطل النقيب عبد الله الجندى أحد أبرز ضباط الجيش الثانى الميدانى فى سيناء وصاحب أطول مدة خدمة بها منذ تخرجه)

*** كتب إلكترونيه صدرت عن وكالة العز للنشر الإلكترونى وتم نشرها فى المواقع والمكتبات الإسلامية**

(٨) شرح تلبيس إبليس لابن الجوزى ـ الجزء الأول (شرح تلبيس إبليس على المعتزلة والشيعة)

(٩) الخومينى (كبيرهم الذى علمهم السحر) ـ قراءة جديدة فى فكر الزعيم الشيعي الخمينى

(١٠) المناظرة الكبري مع الشيعة الإثناعشرية

(مناظرة مكتوبة استمرت شهرا كاملا بين الكاتب وأحد باحثي الشيعة فى قضية الإمامة)

(١١) يالثارات الحسين (بحوث في العقيدة الشيعية وموقفها من أهل السنة)

(١٢) السيدة عائشة (نورانية العفاف وقرآنية الإنصاف)

(١٣) ستون سؤالا بستين قضية (كتاب حوارى به ستون سؤالا بحثيا مع الإجابة المفصلة عليهم)

(١٤) سفراء جهنم (الحقيقة وراء المرجعيات الشيعية المعاصرة) ـ الجزء الأول

(١٥) «فن الإشراف وإدارة المنتديات الثقافية» دراسة من ثلاثة فصول بحثية تعد هى الأولى من نوعها فى هذا المجال خاصة بمعالجة سائر ما يتعلق بتنظيم المنتديات الثقافية على الإنترنت فنيا وإداريا تم اتخاذها كأساس للهيكلة الإدارية لعدد من منتديات الشبكة العنكبوتية

(١٦) تعلم كيف تكون مثقفا ـ بحوث ثقافية متنوعة تضمها سلسلة (تعلم كيف ... ؟) وهى سلسلة شهيرة للكاتب على شبكة الإنترنت وتضم ١٢ بحثا يعالج مختلف المشارب الثقافية والفكرية

*** بحوث منشورة بالإنترنت ويتم إعدادها للنشر**

(١٧) كتاب أولياء بلا مريدين (يضم الكتاب السيرة الذاتية لأهم شهداء مصر فى الحرب على الإرهاب فى سيناء ويعرض أهم بطولاتهم)

(١٨) " المخابرات المصرية ـــ قصة معجزة على النيل «دراسة مسلسلة تشرح تاريخ جهاز المخابرات المصري ودوره فى حماية الأمن القومى العربي من مصادر معتمدة وذكر سائر المعلومات الحقيقية الصريحة المتاحة لمن تولوا إدارة الجهاز وأشهر ضباطه وأشهر عملياتهم

(١٩) سفراء جهنم ـ الجزء الثانى (يسلط الضوء على تاريخ جماعة الإخوان وإبتكارهم لجماعات الإرهاب المتطرف وعلاقتهم التاريخية بالشيعة وفرقهم خلال بدايات القرن العشرين وحتى سقوط حكمهم فى مصر)

(٢٠) شرح تلبيس إبليس لابن الجوزى ـ الجزء الثانى

(٢١) فبُهت الذى كفر

(كتاب يضم مناظرات منوعة للكاتب مع الجانب الشيعي والجانب العلمانى فى قضايا العقيدة)

(٢٢) الإعجاز العلمى والعجز العلمانى

(كتاب للرد على العلمانيين فى إنكارهم لوجود الإعجاز العلمى بالقرآن الكريم)

(٢٣) شخصيات مصرية أسرت النبوغ

(كتاب للأثر الفكرى والوطنى لأشهر الشخصيات المصرية فى العصر الحديث من العلماء والمفكرين والأبطال العسكريين ويضم السير الذاتية عن كل من :

محمد حسنين هيكل ـ عباس محمود العقاد ـ الدكتور مصطفي محمود ـ ـ اللواء محمد نسيم ـ رفعت الجمال ـ عبد الله النديم (بطل الثورة العرابية) ــ د. نبيل فاروق ـ الشيخ محمد متولى الشعراوى ـ العميد إبراهيم الرفاعي (بطل أكتوبر ـ)

(٢٤) معلومات ثقافية خاطئة ... ومنتشرة

(كتاب يطرح أكثر من مائة معلومة تعتبر من المسلمات لدى العامة وهى خاطئة جملة وتفصيلا مع إيراد كافة الأدلة العلمية على خطئها)

(٢٥) نظرات فى التاريخ السياسي لقضية الأقصي

(كتاب يؤسس لقراءة جديدة فى القضية الفلسطينية سياسيا وتاريخيا منذ أواخر عهد الدولة العثمانية وحتى حرب غزة)

(٢٦) قصة قصيدة

(وهو كتاب يشرح عددا من الأحداث التاريخية من خلال شرح بعض القصائد السياسية الشهيرة لكبار الشعراء فى القديم والحديث)

(٢٧) الإلحاد أمام محكمة العقل والتاريخ

(كتاب لمناقشة قضية الإلحاد من خلال إثبات صدق الرسالة الإسلامية عبر أحداث ووقائع التاريخ الإسلامى نفسه)

(٢٨) قرأت لك

(كتاب يضم شرحا وتعليقا على أهم الكتب والمراجع فى مجال الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامي والمعاصر، وأيضا أبرز كتب الآداب والفكر العربية)

(٢٩) الحضارة الفرعونية المفترى عليها

كتاب به عدد من البحوث العلمية المطولة ومنها بحث عن تاريخ الحضارة الفرعونية من وجهة نظر مغايرة تتناول التاريخ الدينى لدى المصريين القدماء

(٣٠) الصراع السياسي والثقافي بين مصر وإيران فى الفترة من (١٩٦٠ م - ٢٠٠٨)

وهو كتاب يؤرخ لموضوع لم تتطرق إليه البحوث كثيرا ويعالج الصدامات السياسية والثقافية بين مصر والسياسة الإيرانية منذ عهد عبد الناصر وحتى الوقت الحالى (تحت الإعداد)

حقوق الطبع محفوظة
© دار الأدهم للنشر والتوزيع